

HELMY MAHRAN

القضية الثالثة

بعد الأربعين



أحمد عثمان

قد يقابل «حلمي مهران» في كل عدد بعض شخوص عوالم الكاتب، وأبطال أعماله، إلا أن كل عمل يحافظ على استقلاليته، ولا يتطلب قراءة أو متابعة بقية الأعمال لمتابعة السلسلة، فقط سلسلة «حلمي مهران».



شكر خاص

لكل صناع فيلم «قبل الأربعين» من تأليف الكاتب «أحمد عثمان»، وتحية خاصة جدًا للمنتج «شادي صبرة» صاحب الفكرة الأولى للمشروع، والنجمة الجميلة «بسمة» عن إداء دور «سما» والنجمة «داليا مصطفى» عن أداء دور «ملك»، والنجم «إيهاب فهمي» عن تجسيد دور «أكرم» والنجم «أحمد حلاوة» عن تجسيد دور «رياض» والنجمة الفاضلة «هالة فاخر» عن أداء دور «نادية»، والفنان «جميل برسوم» عن دور «سليمان»، والفنانة «لبنى ونس» عن دور «أطياف»

فلنتابع بقية الأحداث التي بدأت فور الأربعين!!



ليلة الأربعين..

من داخل هذا القبر الذي أغلق للتو ظل «أكرم» يصارع خيالاته وسط العتمة المخيفة المصطحبة برائحة تحلل الموت، بعدما أغوته تلك السيدة الغريبة إلى داخل تلك المقبرة! تزايدت دقات قلبه متلاحقة مع تصاعد صوت الطبول من حوله وهو يتصبب عرقًا يبحث عن مخرج لسجنه، بينما كاد الهواء ينفد من رئتيه، يمينًا ويسارًا يتحرك بصعوبة وسط أشلاء الأموات محشورًا بذنوبه، غير منتبهٍ لثلاثتهم الذين يراقبونه، يرونه بوضوح من داخل أكفانهم، منتظرين اقترابه، فلقد كانوا ثلاثة وكان هو رابعهم!! ليستسلم «أكرم» أخيرًا لعالمهم ويجثو جاهلًا أمام ثلاثتهم في منتصف المقبرة أسفل التراب الذي يتساقط عليه شيئًا فشيئًا، ليسقط معه في سكون، بينما يكمل التراب دفنه أمام ثلاثتهم قبل أن ينهضوا فجأة من سباتهم، مقطعين أكفانهم المهترئة، كاسرين الحواجز، ليشتم «أكرم» رائحتهم من أسفل الأرض، مدركًا نيتهم، شاعرًا بهيبتهم، سامعًا حركتهم، وهم يزحفون ناحيته، يتقدمهم من يتوسطهم، فهو قائدهم، أطولهم طولًا، وأكبرهم حجمًا، يحفر في الأرض خطاه سابقًا أخواه اللذان يتبعانه، حتى وصل ثلاثتهم عند «أكرم» الذي رآهم أخيرًا من أسفل التراب، ليصرخ بكمًا وهو بين أياديهم، يزيحون عنه الغبار، قبل أن يتساءل أكبرهم:

- إنت مين؟!



صرخ «أكرم» حتى استيقظ من كابوسه للتو، ليجد نفسه الآن مستلقيًا على الأرض، يملأه التراب من أمام ثلاثة من الرجال المتعجبين من وجوده أمام فيلاتهم، عدَّل «أكرم» نفسه متراجعًا للخلف، بينما بدأ النور يغازل عينيه، ثوانٍ معدودة أدرك فيها كابوسه الذي ظن أنه قد خرج منه للتو، ليقرأ تلك اليافطة الرخامية على سور الفيلا التي كُتب عليها «فيلا الألفي»، ليعود ويرمق ثلاثتهم، شباب ثلاثينيين، بِيضُ البشرة، سُود الشعور، رشيقو الأجسام، يتوسطهم قائدهم الذي كان أطولهم طولًا وأكبرهم حجمًا، ليكرر:

- إنت مين؟!

وقف «أكرم» بصعوبة من بينهم، وقد كان أقصرهم طولًا، قمحي البشرة يمتلك شعرًا أبيض ولحية تتماشى مع عمره الأربعيني. استعاد «أكرم» رباطة جأشه من هذا الكابوس الذي غفل فيه فور وصوله، لينسيه الخناس ما جاء به إلى منزل عائلة «الألفي» قبل أن يتذكره قائلًا:

- أنا «أكرم»... «أكرم الجارحي»....

تهجم ثلاثتهم عندما أدركوه قبل أن يرحبوا به داخل منزلهم، وقد كانت أختهم «ملك» متزوجة من أخيه بالفعل!

من الداخل ظل «أكرم» يقص على ثلاثتهم سبب الزيارة، رغم مقاطعة الإخوة لأختهم منذ زمن، إلا أن



ما حدث في بيت «أكرم الجارحي» في الفترة السابقة يبعث على الجنون، فمنذ أربعين يومًا بالتحديد قتلت أختهم «ملك» أخاه وحاولت قتل ابنها «فريد» الذي نجا بأعجوبة قبل أن تنتحر شانقة نفسها في منزل «الجارحي»، وكانت تلك هي فقط البداية، ففي تلك الفترة عم الجنون، أربعون يومًا من الدماء طالت أغلب سكان عقار عائلة «الجارحي» لم يتبقَّ منهم في تلك الساعة إلا «أكرم» وزوجته «سما» وابن «ملك» الذي نجا من الحادث، والذي كان يدعي أنه يرى أمه في تلك الفترة، وأنها لا تزال تجول في منزل «الجارحي»؛ الأمر الذي بدأ «أكرم» وزوجته «سما» تصديقه أخيرًا، ليبحث كل منهما الآن في طريق، فهي الآن تحاول البحث من خلال دراستها لعلم النفس معرفة ما يحدث للفتى «فريد» ابن «ملك» الناجي، بينما ذهب «أكرم» إلى إخوتها لمعرفة ما يجري ليجلس حول تلك المائدة المستديرة مع إخوتها الثلاث ليتحدث إليه فقط الأخ الأكبر «عبد الوارث» الذي توسطهم دائمًا، فهو قائدهم، أطولهم طولًا وأكبرهم حجمًا!

- عيلتنا كان دايمًا عندها كرامات.

- أنا سمعت الكلام ده قبل كده!! كرامات زي إيه!

لم يجبه أي منهم ولكنه تابع:

- الكرامات دي كانت بتيجي للرجاله.

- طب و»ملك» أختكوا؟!



تساءل «أكرم» بهدوء ليتأكد من رؤياه، ليتابع «عبد الوارث» قص الحكاية:

- للأسف مرات أخوك عمرها ما رضيت باللي مقسوم ليها، عشان كده حاولت تقرا كتير.

- تقرا في إيه؟

قالها «أكرم» وهو يتذكر هذا الكتاب الذي كانت «ملك» دائمًا تتلوه.

- مش مهم قريت أيه المهم قريت ليه؟

أجابه «عبد الوارث» متذكرًا أخته قبل أن يتابع مهمومًا:

- «ملك» قريت عشان تدور على اللي يساعدها.

- مين اللي يساعدها؟!

سكت قائدهم لحظة وهو يتابع:

- الشيطان!!

قالها بوضوح زارعًا الرهبة في قلب «أكرم»، بينما كانت «سما» زوجته في تلك اللحظة بالتحديد تواجه مأساة أخرى في بيت «الجارحي» ظنت أنها من تدبير الفتى «فريد» أو من شيطانه، لتتخذ قرارها بالنزول إلى قبو منزل «الجارحي» لتواجهه وإن كانت تجهل ما ينتظرها!!

من تلك المائدة المستديرة طال نقاشهم بعد ما قصه عليهم «أكرم» ليتوقف «عبد الوارث» برهة عن الكلام متذكرًا ما



حاول نسيانه لسنوات، قبل أن يردد من وسط أخويه:

- «ملك» مشيت في سكه غلط، ولو اللي إنت حكيته ده صح، يبقى اللي في اليت عندكوا ده مش روحها، ده هايبقى قرينها.

- قرينها!!!!

كرر «أكرم» قبل أن يوضح «عبد الوارث»:

- شيطانها يعني.

قالها ليعود الصمت فلقد كانوا ثلاثة وكان (هو) رابعهم، بينما كان الفتى «فريد» في تلك اللحظة في القبو يتحدث إلى من ظنها أمه «ملك» التي قالت مهددة إياه:

- أنا هامشي يا «فريد».

- لأ، أرجوكي ماتسيبينيش لوحدي.

- خلاص تعالى معايا يا «فريد».

قالتها من ظنها أمه و(هي) تشير إلى هذا الطريق الوحيد الذي رُسم إليه منذ ميلاده، والتي حاولت تمهيده له من البداية، فلقد كانت فقط تريده أن يتبعها إلى نفس المصير! هذا بينما كان «أكرم» لا يزال في عالم آخر، من أمام ثلاثتهم، مسحورًا بكلام «عبد الوارث» الذي تابع:

- أبونا كان عارف إن في حاجه في بيت جدك.

- كنز؟!



- ههههه، مش بالسذاجه دي، دي أمور نسبيه، الكتّاب ممكن يبقى كنز وأحيانًا المكان نفسه بيبقى هو الكنز، ممكن تقول إن السر في الخلوه، والجسور اللي ما بينها.

- جسور إيه؟!

قالها «أكرم» بينما كان الفتى «فريد» متوقفًا عند تلك البقعة التي أشارت إليها من ظنها والدته، ليقف هناك أعلى هذا المقعد، ليبدأ كالمسحور تجهيز هذا الحبل ليربطه باحترافية غريبة جهل مصدرها، بعدما أدرك الطول المناسب لوزنه، حتى يكسر عنقه دون ألم، لتصبح مشنقته جاهزة في انتظار اللحظة المناسبة!!!!

- يعني عشان كده «ملك» أختوكوا اتجوزت أخويا، يمكن هي اللي سحرته؟

علق «أكرم» بعد سماعه ادعاءات الإخوة الثلاث حيث ظن أن «ملك» قد حددت وجهتها مسبقًا، حيث كانت تعرف ما يخفي بيت جدهم من أسرار، فلقد كان يجد في زوجة أخيه «ملك» ساحرة ومشعوذة، وإن كان يجهل الكثير من الحقائق، ولقد أدرك للتو أن ابن أخيه «فريد» لم يكن شيطانًا بل كان ضحية، كان ضحية تنمرهم وإهمالهم، ليسأل «أكرم» ثلاثتهم:

- يعني شيطانها ده عايز أيه دلوقتي من «فريد» ابن أخويا، إحنا مافضلناش غيره!

- إحنا مابنقلش غير اللي نعرفه، «ملك» باعت نفسها،



وباعت أهلها، بس المشكله لو شيطانها موجود يبقى موجود لسبب، أكيد عشان يكمل اللي بدأته.

أردف «عبد الوارث» ليشعر «أكرم» للتو بالخطر الواقع على «فريد» الذي طالما وبخه ونهره، وإن لم يكن يعلم أنه قد ظلمه، ومهد له الطريق ليتبع الفتى والدته بعدما مقت عالمنا الظالم، ليقول «أكرم» في ندم:

- يبقى عايزه تقتل إبنها «فريد»!! الوحيد اللي نجي من الحادثه، الوحيد اللي نجي من تحت إيديها، دي الحاجه اللي بدأتها ومكملتهاش.

كان «أكرم» قد أدرك للتو الحقائق ليظهر الغضب على الإخوة الثلاث، ويقف «عبد الوارث» من وسطهم صارخًا في «أكرم»:

- حفيد عيلة «الألفي» ماينفعش الشيطان يغلبه... كان المفروض نعمل حساب ليوم زي ده، «فريد» من ولاد «الألفي»، يعني أكيد فعلًا مختلف، إلحقه يا «أكرم»، إلحقه قبل ما الشيطان يقنعه يعمل في نفسه حاجه، إلحقه قبل فوات الأوان.

- قبل الأربعين!!

همس بها «أكرم» قبل أن يهرع إلى الخارج في محاولة لاسترجاع ابن أخيه الذي طالما أهمله ليتحول شعوره من القسوة إلى العطف فجأة، ليتوجه إلى سيارته التي قادها في جنون، وبينما هو يسرع بسيارته جسد الشيطان من



أمامه المشهد، ليرى «أكرم» ابن أخيه الآن ممسكًا بحبل المشنقة يغازله، ليصرخ «أكرم» من هول تلك الرؤيا التي جهل مصدرها، ليزيد من سرعته آملًا أن يقتنص فرصة ثانية مع ابن أخيه، إلا أن الشيطان أكمل بثه لسمومه ليراقب «أكرم» أثناء قيادته مسرعًا باقي المشهد المخيف؛ حيث أمسك «فريد» بالفعل هذا الحبل ليضع رأسه داخله، بينما ظلت من ظنها والدته ترتل تراتيلها من هذا الكتّاب النجس، آية تلو الأخرى من كتّاب حفر حروفه كل من بحث عن الشيطان وهلك من قبلهم، لحظات كادت فيها الطقوس تنتهي، قبل أن تلاحظ من ظنوها «ملك» اقترابه لتبتسم إلى «فريد» الذي أدرك الخطر بعدما تعرقل من على هذا الكرسي الذي كان يحمله، ليهوي مع ابتسامتها فور الأربعين، دون أن يستطيع المقاومة، فلقد كان الحبل مصنوعًا بتلك الاحترافية التي أودت بحياته في لحظة، ليكتشف هو الخدعة من عالم آخر، بينما ظلت هي تضحك مع شيطانها في لحظة وصول «سما» زوجة «أكرم» إلى القبو لتنظر إلى جسد «فريد» الذي ظل يترنح في المشنقة أمامها لتصرخ مفجوعة من هول ما رأت، فلقد قتل «فريد» نفسه بالفعل ليلحق بأمه التي ظلت تناديه بوجودها، بعدما استطاعت زرع كره الناس لابنها لتستحوذ عليه بعدما فشلت في قتله منذ أربعين يومًا، لحظات من الصمت كسرتها طبول الشيطان التي تعلو حول جسد «فريد» المترنح وهو يمسك هذا الكتّاب النجس بطريقة غريبة، حتى حرك الفضول والخوف «سما» لتمسكه



وتبدأ الترتيل المريح لأي نفس وحيدة بعيدة عن الله، حتى همس إليها مطمئنًا:

- متخافيش.. أنا معاكي لحد الأربعين!!!

قالها الشيطان وسمعها «أكرم» المذهول وهو يشاهد الآن هذا المشهد الذي بثه إليه الشيطان الذي نجح في كسره، ليفقد «أكرم» بالفعل السيطرة على المقود، ويتجه إلى الحارة الأخرى ليجد هذه الدراجة النارية التي كان يقودها «حلمي مهران» دون خوذته كعادته والذي تفاجأ للتو لتلك السيارة القادمة إليه، لينظر الأخير للحظة إلى وجه «أكرم» المسود قبل أن يفقد «حلمي مهران» السيطرة هو الآخر على دراجته النارية، ليلتف بها متمايلًا على يساره أرضًا لتصطدم دراجته بسيارة «أكرم» التي تنقلب إلى جانب الطريق!!! ليستلقي «أكرم» داخل سيارته قبل لحظات من انفجارها وهو ينزف الدماء بينما كان هذا الشيطان يقف من على بعد خطوات منها يتحدث بالصوت الذي اختاره لـ«سليمان» الحسيني، ليقول ساخرًا:

- أتسأل من (أنا)، وقد تبعتني منذ البداية؟! ستعلم عن قريب، فها أنت على بعد خطوات من مقابلتي!!

- إنت مين؟!

قالها «حلمي مهران» الذي توقف بصعوبة شديدة رغم نزيفه وآلامه يحاول رؤية هذا القادم الذي تبخر من فوره، قبل أن يلاحظ «أكرم» الذي يحاول يائسًا الخروج من



سيارته دون فائدة!!

***

يفتح «حلمي مهران» عينه للتو ليجد الظلام حليفه، حاول التحرك إلا أنه فشل، لحظات من العجز أدرك فيها أنه حبيس جسده المصاب، قبل أن يلمح من جانبه من يتحرك في خفة، زاد توتر «حلمي مهران» الذي استجمع قواه للحركة، ليستطيع النجاح بصعوبة، ليتفهم وجوده داخل غرفة عناية مركزة لمستشفى ما، وقد خرج منها للتو شخص كان بالسرير الملاصق لـ«حلمي مهران» الذي توقف ليتبعه للتو رغم الألم، ليعبر هذا الباب ذا الشراع الزجاجي، ليحاول «حلمي مهران» سؤاله من هذا الممر المظلم للمستشفى:

- إنت مين؟!

التفت «أكرم» الذي يرتدي بذلة كتانية بيضاء:

- أنا «أكرم»...«أكرم الجارحي».

- إنت اللي كنت سايق العربيه.. صح؟

أردف «حلمي مهران» الذي تذكر وجه «أكرم» من الحادث، ليومئ «أكرم» برأسه مجيبًا بينما يجلس على مقعد معدني وسط تلك الظلمة الخالية من أي سكان، ليعاتبه «حلمي مهران» قائلًا:

- إنت كنت هاتموتنا!!!!



- إنت اللي موتني.

أجاب «أكرم» في برود، ليشرح «حلمي مهران»:

- إنت اللي طلعت فجأة في الطريق وكأنك شفت عفريت.

توتر «أكرم» الذي تذكر رؤياه، حال «حلمي مهران» الذي أمسك برأسه المتألم، بينما تبدأ الأنوار في الإضاءة مع صوت القادم من آخر الممر يفتح الباب، وهي تلك الثلاثينية الحسناء «سما» فابتسم «أكرم» وهو ينظر إليها مُعرِّفًا:

- دي «سما» مراتي جت آهيه.

من آخر الممر ظهرت «سما» شاردة دامعة العينين، بينما وقف «أكرم» مقتربًا منها مبتسمًا، إلا أنها تجاهلته وتحركت متجهة إلى الغرفة، ليتعجب مناديًا إيَّاها:

- «سما»!!!

لم تجبه «سما» ودخلت تلك الغرفة دامعة الأعين، لينتبه «أكرم» من خلفها للتو إلى من هو بالداخل، فقرر عبور هذا الباب الحاجز متطفلًا، شرع يدنو أكثر فأكثر، ليجد نفسه مستلقيًا على سرير متشبثًا بأجهزة الحياة، ليعود إلى ذاته ويتفقد ملابسه البيضاء النظيفة مدركًا ما يحدث، ليلتف مستديرًا إلى تلك المرآة الموضوعة أعلى حوض التخدير، ليجد الصورة خالية من أي انعكاس، لوهلةٍ



دمعت عيناه جزعًا على هذا الجسد الموضوع على السرير، بينما من جانبه ظهر «حلمي مهران» للتو الذي أدرك حقيقته هو الآخر، فلقد كان جسده لا يزال مستلقيًا إلى جانب «أكرم» حاله حاله، ليسمعا سويًا صوته من الخارج.

- قريبًا ستعلمان الإجابات.

التفت «حلمي مهران» و«أكرم» إلى الخارج ليجدا هذا الرجل الستيني «سليمان» متوقفًا بعصاه يكمل بنبرته المخيفة:

- لا تتعجلا، فأنا ها هنا منذ قديم الزمان.

***



(01)

من غرفته كان «فؤاد» مستلقيًا على السرير بينما دلفت «وعد» إلى الداخل وهي متعجلة ممسكة برضيعتها.

- إنت لسه قاعد يا «فؤاد»!!

- وهاروح فين يعني؟!

- مش جاي معانا المستشفى؟

- لطليقك!!!

مستنكرًا علق «فؤاد»، لتتابع «وعد»:

- تقصد أبو إبني يا «فؤاد»!

وقف «فؤاد» في ضيق:

- لأ يا «وعد» مش جاي، أنا هاستنى هنا مع «إيمان».

قالها وهو يأخذ منها ابنتهما متبعًا:

- خدي انتي إبنكوا وروحيله.

تحرك «فؤاد» ناحية النافذة معطيًا «وعد» ظهره، لتظل متوقفة لحظات قبل أن يدخل ابنها «وليد» يستعجلها لترافقه إلى الخارج، لينزلا سويًا، حتى يصلا إلى السيارة، ليردف «وليد» قائلًا:

- يالا يا ماما بسرعه.

- حاضر يا «وليد».



بلهفة ركبا السيارة، ليتساءل «وليد» في قلق:

- بابا هايبقى كويس مش زي اللي مره اللي فاتت.. صح؟

التفتت «وعد» إلى ابنها في حنان مطمئنة:

- آه يا «وليد»، أبوك مش هايغيب عنك تاني أبدًا.

قالتها ثم أسرعت متحركة، بينما كان «فؤاد» يرمقهما من أعلى، ليتأكد من مغادرتها ليضع ابنته في سريرها الصغير في غرفته قبل أن يشعل سيجاره ويبدأ التدخين الذي بدأه على كبر، بعدما تغيرت أحواله وزاد همه مؤخرًا، بعدما كسر «حلمي مهران» أمانه الذي بالغ في إعطائه لـ«وعد»، ليسحب الأخير البساط من تحت أرجل «فؤاد» دون عمد أو قصد، إلا أن «وعد» صارت تشعر بالأمان في وجود «حلمي مهران» في شهورها الأخيرة، أكثر من فترة زواجها به، الأمر الذي حاول «فؤاد» إنكاره، حتى حادث «حلمي مهران» الأخير الذي أظهر مشاعر واضحة لـ«وعد» ولم يستطع «فؤاد» تكذيبها، ليظل «فؤاد» يندب حاله، متذكرًا تلك المرأة الجميلة «حنان» التي قدرته وتركها مفضلًا عليها صديقتها «وعد»!! ليمسك «فؤاد» بهاتفه ليلقي نظرة على صوره مع «حنان» ليبتسم وإن كان يجهل أنها هي الأخرى الآن تهرع بين ممرات المستشفى إلى غرفة «حلمي مهران» والقلق يملأها هي الأخرى، لتصل إليها أخيرًا وتفتحها لتتوقف في ضيق مما رأت في الداخل!



***

من غرفته بالمستشفى كان «أكرم» لا يزال في غيبوبته، وجواره الدكتور «صلاح» الذي دخلت إليه «سما» تحاول الاطمئنان على زوجها:

- طمني يا دكتور، في أي جديد!!

- للأسف لسه في الغيبوبه.

- أمال هما خلونا نجيبه لحضرتك مخصوص ليه؟!

بغضب تساءلت:

- أنا مش حاوي يا مدام «سما»!! أنا دكتور جراح...

قالها وهو يخرج من الغرفة غاضبًا، لتتبعه «سما» في إنكسار:

- طب يا دكتور ماتفهني حاجه، أنا بموت حرفيًّا..

تنهد «صلاح» وتوقف ملتفًا إليها:

- «سما» هانم، العربيه اللي إحنا بنصنعها أحيانًا بنعطل في تصليحها، تخيلي بقى جسم البني آدم اللي من خلق ربنا.

- أنا مقدره بس أملي فيك كبير، إحنا جابونا هنا مخصوص لسيادتك عشان خبرتك، قالولنا حضرتك أهم حتى من السفر برا!!

- وأنا مقدر ده، وإحنا فعلًا عملنا كل اللي في إيدينا، وهو ده اللي خلاكي تجيني أنا عشانه.



- يا دكتور أنا مافضليش غيره، كله عندي راح.

- أنا مقدر ماتخافيش، إن شاء الله هايفوق.

- إمتى يا دكتور؟

سكت الدكتور «صلاح» قبل أن يقول بإيمان:

- الله أعلم.

قالها «صلاح» ثم ابتسم بميكانيكية وتحرك تاركًا إياها في الممر وحيدة بجانب طيف «أكرم» الذي وقف يرمق «سما» دون أن تراه! لتغادر متألمة، ويعود هو إلى غرفته حيث يستلقي جسده، ليحدث نفسه نادمًا على أفعاله، يهاب للتو لحظة الموت، مرعوبًا من حساب لا يستطيع إدراكه، فلقد عاش «أكرم» أنانيًا، عاش لنفسه، يخاف الآن أن يموت دون رجوع للتوبة، فلقد فشل في الدنيا، كما فشل في الآخرة، لم يستطع الحفاظ على ابن أخيه، وظل ينهره ويكسره محملًا إياه حساب أمه، حتى ترك الفتى نفسه للشيطان، ليقتل نفسه هروبًا من عمه الظالم، الذي يندم الآن حين لا ينفع الندم!

- هههههه.. هل تظن أن الحكاية انتهت؟

سمعها «أكرم» للتو، ليتلفت إلى الخلف ليجد هذا الرجل الستيني «سليمان» الذي اختار الشيطان صوته ليستخدمه متابعًا:

- هههه.. كم أنت ساذج سخيف!! فلم تذق عذابًا بعد!



سأجعلك ترى الجحيم على الأرض لتتألم قبل ذهابك! فستكتشف الحقائق وترى ما سيحدث وأنت عاجزً لتفقد ما تبقى من إيمان.. فالجحيم سيبدأ الآن.. من بعد الأربعين!!

من على بعد عدة خطوات كان الدكتور «صلاح» في طرقات المستشفى وقد وصل إلى غرفة «حلمي مهران» ليفتحها كعادته الطبية دون استئذان، ليدخل ويجد أربعتهم هناك، «حنان» و«ماجي» يتوسطهما «هشام» وثلاثتهم يجلسون أمام «حلمي مهران» الواقف في منتصف الغرفة بملابس المستشفى شبه العارية، يقف في قوة وكأنه في مكتبه:

- دكتور «صلاح» إنت فين كل ده؟!

قالها «حلمي مهران» الذي ظل يرمق «صلاح» وكأنه قد عاد إلى الخدمة، ليبتسم «صلاح» ويدخل ليجلس بجانب الثلاثة كالتلميذ، ليظل الأستاذ يشرح لهم ما شاهد أثناء غيبوبته القصيرة تلك، ليظل كل منهم بين مكذب ومصدق!

- يعني إيه شوفت كل اللي بيحصل ده قبل كده؟!!

علق الدكتور «صلاح» ساخرًا.

- زي ما بقولك، وشفت اللي عملت معاه الحادثه، مش هو اسمه «أكرم» يا دكتور؟!



توتر «صلاح» مؤكدًا:

- أيوه فعلًا، بس هو مافقش من الغيبوبه، ولا إنت فوقت من الحادثه يا «حلمي» غير من كام ساعه.

- ما يمكن بيتهيألك يا «حلمي» من الحادثه!

ببراءة علقت «حنان» لتتدخل «ماجي» بحدة:

- «حلمي» مش مجنون.

- أنا مقلتش كده.

دافعت «حنان» لتكمل «ماجي»:

- «حلمي» موهوب، دي هبه من ربنا.

ابتسم «حلمي مهران» إليهما، ثم نظر إلى «هشام»:

- ساكت ليه يا صاحبي؟

ابتسم «هشام» بدوره وهو يجيب:

- والله يا صاحبي أنا شوفت معاك كتير، وخلاص اقتنعت إنك ملبوس.

- مفيش حاجه اسمها كده، إنت لازم يا «حلمي» تتعرض لفحص طبي، وحالتك تدرس.

علق «صلاح» ليحرجه «حلمي مهران»:

- وأنا قلتلك أنا مش فار تجارب.

بحدة قالها قبل أن يقاطعهم صوت طرق الباب، قبل أن



تظهر «وعد» التي توترت من جلستهم، بينما هرع «وليد» إلى أبيه الذي جثا ليحتضنه.

- باباااا.. إنت كويس؟

- طبعًا، هو مش أنا بابا؟ بابا عمره ما يحصل له حاجه.

بثقة أجابه «حلمي مهران» وهو يحتضنه، بينما ينظر إلى «وعد» التي ظهر شوقها وإن منعها عنه وجود الجميع، خاصة «حنان» التي توجهت إليها بالحديث:

- إزيك يا «حنان»؟ واضح إن رجلك جت على هنا!

ظهر على «حنان» الضيق بينما وقف «حلمي مهران» وهي تقول منصرفة:

- معلش أنا مضطره أستأذن.

- لسه بدري يا «حنان».

علق «حلمي مهران» لتتدخل «ماجي»:

- خليها براحتها يا «حلمي» إنت تعبان.

ظهر الضيق على «هشام» حالما نظر إلى «ماجي» بغضب فنظرت أرضًا، لحظة كانت تهمّ «حنان» بالمغادرة.

- حمد لله على السلامه يا «حلمي».

- الله يسلمك يا «وعد».

- مش تخلي بالك على نفسك؟...عشان «وليد» يعني...



محرجة أضافتها ليطمئنها «حلمي مهران»:

- ماتخافيش عليا يا «وعد»، أنا هافضل كويس... عشانكوا طبعًا.

قالها دون أن يلاحظ خروج «حنان» منكسرة، تتحرك في انهزام قبل أن تسمع صوت رنين هاتفها لتجده «فؤاد»، ليزيد من همها وترفض هي مكالمته ليظهر الضيق على «فؤاد» الذي يلقي بالهاتف على السرير قبل أن يشعل سيجارة أخرى غير مبالٍ لصراخ ابنته الرضيعة، لتكمل «حنان» طريقها وحيدة كعادتها، بينما من الداخل كان «حلمي مهران» يتابع جنونه طالبًا الخروج من المستشفى فور إفاقته، ليرفض «صلاح» في حزم:

- أنا مش هاوافق أبدًا إنك تخرج.

- بس أنا كويس وكويس جدًّا كمان.

علق «حلمي مهران» ليتابع «صلاح»:

- لو سمحت تسمع الكلام يا «حلمي».

- أنا مش هاقعد في المستشفى وأسيب اللي ورايا.

- هو إحنا ورانا إيه يا «حلمي»؟!

علقت «ماجي» متابعة:

- ما انت ما اخترتش قضيه جديده لسه.

- لأ...



مبتسمًا علق «حلمي مهران»، ثم تابع مجددًا:

- أنا اخترت...

***

من خارج منزل «الجارحي» كانت «سما» واقفة أمامه تنظر إليه في ترقب، تحاول فك أسراره التي يخفيها عن الجميع متمسكًا بشيء من الغموض الذي التزم به منذ أمد التاريخ، قبل أن تهم بالدخول من بابه الحديدي المفتوح في خطوات مهزوزة، تنظر إلى يسارها حيث تلك الدكة الخشبية الخالية، قبل أن تأخذها قدماها إلى مدخل هذا القبو المخيف، لتسبقها عيناها إلى الداخل عبر نافذة حديدية، لتتذكر ما حدث في ليلة الأربعين حين انتحر الفتى «فريد» من أمام عينيها، لتتجسد صورته مشنوقًا أمامها معلقًا ممسكًا بهذا الكتاب، الذي ناداها من فوره هامسًا إلى عقلها الضعيف، لتسمع «سما» للتو أصوات الطبول تتعالى في ذهنها شيئًا فشيئًا، حتى أدركت واقعها فجأة، وإن كانت لا تزال تسمع صوت الطبول يتزايد وكأنه يصارعها، لتهرب هي إلى سلم العقار ومنه إلى شقتها، حينها توقفت تلك الطبول عن الشدو!

***

من غرفة «حلمي مهران» بالمستشفى تدخل «هشام» في الحديث:

- خلاص أنا هاجيب قرار «أكرم» ده، وهاروح لأهله



أفهم تفاصيلهم كلها بطريقه حبيه كده مش رسميه، لغاية ما الدكتور «صلاح» يطمنا.

- هايل وأنا هاجي معاك.

أضافت «ماجي»، ليندهش «هشام» قائلًا:

- تيجي معايا فين؟!

- مش بتقول بطريقه مش رسميه، أنا هاجي معاك، عشان أتابع لـ«حلمي» القضيه.

- أظن كده ملكش حجه يا بطل.

علق «صلاح» مضيفًا:

- وأنا شخصيًّا هادي المقدم «هشام» عنوان «أكرم» وبياناته كلها.

- وإحنا هانستنى معاك هنا عشان ماتبقاش لوحدك.

قالتها «وعد» لتتحفظ «ماجي» قبل أن يتدخل «حلمي مهران»:

- لا يا «وعد»، أنا هابقى كويس اطمني، روحي إنتي لجوزك.

ذكرها للتو بـ«فؤاد»، ليتدخّل «صلاح» رافعًا الحرج قائلًا:

- أنا برضه بقول كده يا مدام «وعد»، عشان نبقى براحتنا ويقدر يرتاح برضه.



جثا «حلمي مهران» على ركبته موصيًا «وليد»:

- هاتخلي بالك من ماما...وأختك.

- ماتخفش عليا يا بابا، أنا طالعلك.

علق «وليد» نخورًا بوالده، قبل أن يغادر «هشام» مصطحبًا «ماجي» إلى سيارته ليؤجل عتابه، حتى ركبا سويًا:

- إنتي مش هاتخفي على «حلمي مهران» بقى؟

بشيءٍ من النفور تجيب «ماجي» قائلة:

- تاني يا «هشام»؟!! إنت عارف «حلمي مهران» بالنسبه لي إيه! ده الراجل اللي أنقذ حياتي لما كل الناس خذلوني...

قالتها مشيرة إلى تخليه عنها حين كانت مهددة بالإعدام، ليشعر هو بالخجل قائلًا:

- خلاص بقى يا «ماجي»، مش هانقضيها كده العمر كله.

أردف قبل أن تنجده مكالمة من مساعده التي أجابها من فوره:

- أيوه.. جبتلي قرار «أكرم»؟...

- عيب عليك يا باشتنا...

- لا ألخص إيه؟ ده «أكرم» ده طلع وراه بلاوي.



- بلاوي!!

رددها «هشام» وهو ينظر إلى «ماجي» مندهشًا، قبل أن يتابع مساعده:

- آه يا باشا، ومش «أكرم» بس.. دي عيلة «الجارحي» كلها....

قالها مساعده ليسرد له الكثير من الحكاوي مستهلكًا الوقت، حتى وصل «هشام» و»ماجي» إلى عقار «الجارحي» بالفعل، إلا أن الخوف صار حليفهما من بعد ما سمعاه للتو عبر الهاتف.

ترجلا ووقفا لحظة عند البوابة متوترين قبل أن يعبر «هشام» البوابة مناديًا أحدًا من الحُرَّاس:

- سلامو عليكوا.

لم يجبه أحد من الحراس، لتقول «ماجي» قلقة وهي تتبع خطوات «هشام»:

- المكان شكله يخوف أوي.

- لا يا حبيبتي، ده اللي سمعناه بس مأثر عليكي.

- ما هو برضه مش طبيعي كل المصايب دي تحصل في بيت واحد!!

قالتها «ماجي» متوترة، ليعاتبها «هشام» قائلًا:

- ما قولتلك أوصلك وآجي لوحدي يا «ماجي».



- خلاص يا «هشام» بقى.

في محاولة منها للثبات قالتها قبل أن تتابع خوفها متسائلة:

- هو مفيش حراس ولّا إيه!!!

- شكلها كده، تعالي نخش العماره..

توجها إلى العقار في ترقب، بينما كانت «ماجي» ترمق هذا القبو المخيف، ليصعدا سويًا إلى شقة «سما» ليطرقا بابها، لتندهش هي من الداخل فلم تكن تتوقع أي ضيوف، لتخرج من عزلتها، فقد كانت تجلس الآن في غرفة أخيها الذي قتل نفسه هو الآخر منذ أيام، لتتحرك إلى الخارج لتفتح الباب في ترقب متسائلة:

- إنتوا مين؟!

***

من المستشفى كان «حلمي مهران» قد استسلم للتو إلى طبيبه، تابعًا إياه إلى غرفة المسح الذري، ليتابع «صلاح» فحوصاته، بينما كان «حلمي مهران» اليوم عكس الأمس، في أمس الحاجة إلى اكتشاف حقيقته، فلقد بات يشك في عقله، كما أن ألم هذا الصداع صار غير محتمل.

- بص يا «حلمي» إحنا هانبدأ بالأشعه المقطعيه، المطلوب منك إنك تقعد من غير حركه خالص.

شرح الدكتور «صلاح» المطلوب فاتحًا باب تلك الغرفة



البغيضة التي مقتها «حلمي مهران» حين رؤيتها، وهو ينظر إلى هذا الجهاز المحكم الذي سيحاصره للتو، ليبتسم إليه «صلاح» مطمئنًا قبل أن ينصرف ويتركه إلى الممرضين اللذين وضعا «حلمي مهران» في سجنه ليبدأ الفحص، تارِكَيه وحيدًا مع خيالاته في هذا الظلام مع صوت رنين الجهاز، ليتصاعد صوت الطبول للتو، ليشعر «حلمي مهران» بهم يملأون المكان عائدين إليه من أزل التاريخ، بينما ظل صوت الطبول يتصاعد شيئًا فشيئًا!

***



(02)

من صالون «سما» جلس «هشام» و«ماجي» في ضيافتها، يعرفان نفسيهما ليحاولا أخذ ما يستطيعان من معلومات، وإن كانت «سما» في حاجة للقص دون أي عوائق، فلقد باتت تحمل على صدرها الكثير، لتفرح للتو بالصفة الودية التي جاءا بها:

- يعني ده مش تحقيق رسمي يا سيادة المقدم؟ أصل في كذا حد خد أقوالي.

- زي ما فهمتي سيادتك، أنا طلبت أتابع القضيه، وكنت حابب أتكلم مع حضرتك بصفه وديه في الأول.

غمرت السعادة «سما» مع اندهاش «ماجي»، فلقد كانت بالفعل في حاجة ماسة إلى مشاركة ما حدث دون أن يتم اتهامها بالجنون، قبل أن تتساءل لتطمئن:

- طيب وهو حضرتك إيه اللي شدك في القضيه دي بالذات؟

- وهو إيه اللي حصل هنا مايشدش يا فندم؟!

أجابت «ماجي»، لتستريح «سما» التي فهمت ما يشتركان في فهمه:

- على رأيك، ده هم ما يتلم.

- وزي ما قلت لحضرتك، ده مجال دراستي، وأنا حبيت



أستعين بـ«هشام» عشان يساعدني.

قالتها «ماجي» كاذبة لتكمل «سما» في فضول:

- هو إنتي بتؤمني بالحاجات دي برضه؟!!

- تقصدي إيه؟!

- مش بتقولي مجال دراستك!! ماتكسفيش، أنا كمان مكنتش مصدقه في الأول، أصلًا أنا درست علم نفس عشان أحاول أكدّب اللي شوفته بعيني.

قالتها «سما» مزيلة شيئًا من همومها، قبل أن تضيف في توهان ملحوظ:

- بس اللي شوفته في بيت «الجارحية» قلبلي كل موازيني تاني!!

لتبدأ «سما» في قص ما تعرفه عن هذا البيت المريب:

- ده بيت «الجارحي» الكبير، محدش يعرف اشتراه منين، المهم إنه عيش فيه أولاده التلاته، «رياض» الكبير، و«نبيل» الله يرحمه، و«أكرم» جوزي أصغرهم.

- إنتوا بس اللي عيشتوا في العماره؟

تساءل «هشام» لتجيبه:

- آه وكان معانا شيخ «معتصم»، كان شاب بركه كده، كان حمايا مسكنه في أوضة السطح، واشترط علينا محدش يطرده.



كان بالفعل الشيخ «معتصم» اختيار الجد للدفاع عن هذا العقار، فلقد كان شابًّا طاهرًا، زاهدًا الدنيا وما فيها، قبل أن يغويه الشيطان حتى يتمكن منه.

- وهو حد حاول يطرده؟

تساءلت «ماجي» لتجيبها «سما»:

- لأ ما هو مات.

- مات عادي ولا مقتول؟!

***

من منزلها دخلت «وعد» للتو عائدة من المستشفى لتجد الشقة مليئة بالدخان، فتذكرت حالة ابنها وحساسية رئتيه، لتوقفه عن الدخول:

- إستنى يا «وليد» عندك.

قالتها ودخلت لتفتح نوافذ الصالون، قبل أن تعود إلى ابنها:

- تعالى يا «وليد» بس خش على أوضتك علطول....يالا بسرعه.

دخل «وليد» مسرعًا إلى غرفته بينما توجهت هي إلى غرفتها، حيث كان «فؤاد» مستلقيًا في ملل وضيق:

- كل دي سجاير يا «فؤاد»؟! لو مش خايف على إبني خاف على بنتنا يا أخي.



سكت «فؤاد» وهو يطفئ السيجارة التي كانت بيده لتكمل هي:

- إنت حصلك إيه يا أخي؟! إنت مكنتش كده.

وقف «فؤاد» الذي امتلأ للتو، ليواجهها بهدوء لا يخلو من انكسار وعتاب:

- بالعكس يا «وعد» أنا طول عمري كده، أنا ماتغيرتش، أنا زي ما أنا من أول يوم شوفتك فيه، أنا مش الراجل اللي داير يحلق عليكي يمين وشمال، أنا مش سوبر مان يا «وعد»، أنا «فؤاد» اللي كل مره بتحطيني في مقارنه كل مره مع «حلمي مهران»، كأني في امتحان مايخلصش.

- إنت بتقول إيه يا «فؤاد»؟!!

قالتها «وعد» صارخةً مصدومةً، ليتابع:

- بقول الحقيقه يا «وعد»، بس الفرق إن زمان كنت بكسب المقارنه، لكن دلوقتي المقارنه بقت أصعب..

يردف «فؤاد» ويخرج من الغرفة في ضيق، بينما تنظر «وعد» أرضًا، ثم تقترب من رضيعتها لتحملها.

***

من منزلها كانت «سما» تكمل وكأنها تفضفض وتحكي ما في صدرها لصديق ما:



- حمايا مسك «نبيل» كل حاجه وخلاه يتحكم في اخواته.

- بس مش «رياض» هو الكبير على كلامك؟!

تساءل «هشام» مندهشًا.

- آه بس كان ضعيف، وضعف زيادة لما عرف إن أبوه فضل «نبيل» عليه.

هذا ما شعر به «رياض» حينها بالفعل ليزداد عجزه وحيرته، وإن كان يجهل الكثير، فلقد كان الجد يعلم أن «رياض» لن يتحمل مسؤولية هذا العقار وأعباءه.

- و»نبيل»؟

تساءل «هشام» لتسترسل «سما»:

- كان كويس قبل ما يتجوز «ملك»، اتجوزته في وقت قليل، وكأنها مرتبه حاجه من قبلها، «ملك» كانت مخيفه، اتحكمت في «نبيل» وغيرته، غيرته كتير.

- إزاي؟

تساءلت «ماجي».

- كل حاجه، كأنه حد مانعرفوش، حاولنا معاه كتير نرجعه، وأول ما استجاب وبدأ يفوق، صحينا لاقيناها قاتلاه هي وبنته وابنها، قبل ما تنتحر.

- بس على حد علمي «فريد» مامتش ساعتها؟



تساءل «هشام».

- أيوه فعلًا ابنها «فريد» بس بعد ما عشان وشاف على مشهد موت أخته وأبوه، وشنق أمه لنفسها، إتجنن، وللأسف ملحقناش نعمله حاجه، وشنق نفسه هو كمان في الأربعين بتاعهم.

- كل ده من تحت راس «ملك»؟!!

تعجب «هشام» متسائلًا، لتردف «ماجي»:

- دي كانت مجنونه بقى!

- لأ دي كانت ملبوسه...

أجابت «سما» ليكرر «هشام» متوترًا:

- ملبوسه!!!

قالها «هشام» قبل أن يصمت الجميع، للحظات طويلة، قبل أن تكسر «سما» الصمت شارحة:

- «ملك» فضلت روحها في البيت لحد الأربعين بتاعها، في الفتره دي كل حاجه اتغيرت.

- إزاي؟

- في الأول زي ما قلتلك مات الشيخ «معتصم».

قالتها وتنهدت لتتابع ما حدث بعد ما مات هذا الشيخ الذي كان يحمي العقار، لتنهال من بعدها الأحداث:



- وبعديها علطول «رياض» اختفى، ومحدش عرف إزاي، ومراته «نادية» اتجننت وجات عندي المصحه مابتتكلمش، وفي يوم الأربعين زي ما انت عارف «فريد» انتحر.

- و«أكرم» حصلتله الحادثه.

أكملتها «ماجي» قبل أن يتساءل «هشام» في شك:

- وإنتي كنتي فين من ده كله؟!!

- كنت مع أخويا، اللي مات برضه في نفس اليوم...

أحرج «هشام» بينما تابعت «ماجي» شكوكها:

- يعني إنتي الوحيده اللي محصلكيش حاجه، مش غريبه دي؟!!

- تقصدي إيه؟

منفعلة قالتها «سما»، ليتدخل «هشام» مهدئًا الذي كان منتبهًا لعدم وجودهما بصفة رسمية:

- لا ولا حاجه، هي تقصد بس اشمعنى إنتي!

سكتت «سما» ثم تذكرت ما كانت تحاول نسيانه، فرغم أنها كانت أحن من الجميع على الفتى «فريد»، إلا أنها لم تفهم ألمه، فلقد كان ألمه في وحدته، لتقول «سما» في شرود:

- «فريد» كان عايزني أحس بإحساسه وألمه.



- تبقى لوحدك يعني؟!!

تساءلت «ماجي» لتؤكد «سما» مجيبة:

- أيوه.

- يعني «فريد» اللي قتلهم؟!

تساءل «هشام» مستنتجًا لترفض «سما»:

- ما قلتلك مش «فريد».

- أمال مين يعني؟!

تعجبت «ماجي» لتجيب «سما»:

- اللي كان لابسه.

- شيطانه برضه؟

***

من داخل أسطوانة الإشعاع، ظل العائدون يتبادلون الحضور داخل ذهن «حلمي مهران» الذي كاد يفقد عقله، يتساءل عما يحدث، حتى سمع خطوات هذا القادم حول الجهاز، ليتنفس الصعداء:

- أخيرًا.. يالا يا دكتور «صلاح»!!

لم يجب القادم، فلم يكن متواجدًا كما ظن «حلمي مهران» الذي زاد توتره:

- مين؟!



تساءل «حلمي مهران» الذي منعه وضعه في الجهاز عن الرؤية.

- أنا.

- أيوه مين؟

- إنت سامعني!!

تساءل القادم في سعادة.

- أيوه طبعًا سامعك، إنت مين؟

- قلتلك قبل كده، أنا «أكرم»..."أكرم الجارحي»».

انتبه «حلمي مهران» ليبدأ في الانزعاج رافضًا ما يحدث داخل عقله:

- لأ بس «أكرم» في غيبوبه.

- وإنت كمان؟!

***

- ما تقولي كلام يتفهم يا دكتوره «سما»، ده حضرتك دكتورة علم نفس.

قالها «هشام» معترضًا على حديث «سما» التي نظرت إلى «ماجي» وتابعت مدافعة:

- إنتوا مش مصدقني ولّا إيه! مش هو ده مجال دراستك برضه!! العفاريت؟



ابتلعت «ماجي» ريقها موضحة:

- لأ أنا مجال دراستي هو الأموات.

- وهو إنتي عمرك ما كلمتي ميت؟!

***

من غرفة مظلمة يجد «حلمي مهران» نفسه خارج الجهاز الذري، يرفض ما حاول «أكرم» إقناعه به:

- لأ أنا صاحي.

قالها «حلمي مهران» معترضًا، ليضحك «أكرم» مشيرًا إلى الغرفة الخالية:

- طيب أمال فين الناس؟!

نظر «حلمي مهران» من حوله إلى المكان الخالي، بينما تابع «أكرم»:

- ماتحاولش تفكر، وفر تعبك ليا، أنا محتاجك.

ابتسم «أكرم»، ثم أردف متابعًا:

- أنا عارف إن الفضول قاتلك فعلًا.

- إنت عايز مني إيه؟

- معرفش، بس بما إن إنت الوحيد اللي شايفني وسامعني يبقي هاتساعدني، ما واضح إننا ميتين زي بعض.

قالها مبتسمًا، ثم تابع:



- على الأقل مؤقتًا..

- عايزني أساعدك في إيه؟!!

تساءل «حلمي مهران» مندهشًا.

- «سما».

- «سما» مين؟!

- «سما» مراتي.

- مالها؟!

- إحميها.

- من إيه؟!

- من الشيطان.

***

- يعني اللي كانت في البيت دي مش روح «ملك» زي ما افتكرته؟

تساءلت «ماجي» لتجيبها «سما»:

- لأ...ده كان شيطانها.

- قرينها يعني؟

تجاوب «هشام» لتبتسم «سما» قائلة:

- ده إنت قاري بقى، يبقى بتنكر ليه؟



ابتلع «هشام» ريقه ليكمل مستفزًّا إياها في محاولة لإنكار ما سمع:

- يعني في الآخر كل اللي حصل ده شغل لا مؤاخذه عفريت.. ههههه، صح؟

- إنت قولت إنك عايز تعرف الحقيقه وبشكل غير رسمي.

- يعني لو جيت بشكل رسمي؟

نظرت إليه «سما» بقوة وأردفت:

- هاكرر اللي قلته بشكل رسمي...إني معرفش حاجه، ما هو أنا مش هاطلع نفسي مجنونه وكمان بشكل رسمي.

بطريقة مخيفة قالتها وكأنها تحولت إلى شخص آخر قبل أن تقف متابعة:

- ودلوقتي بقى أنا هاضطر أستأذن عشان أطمن على «أكرم».

- وإحنا مش هانعطلك أكتر من كده، بس معلش عندي سؤال أخير.

قالتها «ماجي» في فضول.

- إتفضلي بس يا ريت بسرعه.

- إنتي مش خايفه وإنتي قاعده في البيت ده؟! ده حتى ملوش حراس.

- ومين قالك إن ملوش حراس؟!



أجابت «سما» التي تحركت قرب النافذة لتلقي نظرة إلى الخارج عبر النافذة حيث كان «سليمان» يجلس بجانب «أطياف» يراقبان المشهد.

***

- الشيطان مش هايسبها يا «حلمي» صدقني.

قالها «أكرم» ليندهش «حلمي مهران» متسائلًا:

- وهو الشيطان عايز منها إيه؟!

- أكيد هايموتها قبل الأربعين...

- ليه؟!

- معرفش ده دورك إنت، أنا محبوس هنا لغاية ما جسمي يتحرر.

- طيب ما أنا محبوس هنا معاك.

«أكرم» مستدركًا:

- بس إنت هربت من الحبس ده مره، واللي يهرب منه مره، يقدر يهرب ألف مره.

- يعني إيه؟!

- فكر، المفروض إنك أذكى واحد هنا.

قالها «أكرم» قبل أن يتبخر، لينظر «حلمي مهران» حوله ملتفًا حول نفسه كعقارب الساعة، في أجواءٍ من الرعب،



حتى فهم «حلمي مهران» للتو، فجعل يصرخ حالما استيقظ من كابوسه الآن! ليستيقظ «حلمي مهران» الآن داخل غرفة الطوارئ التي كان فيها بعد الحادث مباشرة!!!

تفاجأ «حلمي مهران» للحظات في محاولة منه لإدراك ما حدث، فنظر إلى يمينه ليجد «أكرم» مستلقيًا بينما «سما» زوجته إلى جواره قد أتت للتو في مشهد البداية، ليظل «حلمي مهران» مندهشًا، حيث ظن أن كل ما حدث كان يحدث في خياله، ولكن هل يمنع ذلك من حدوث الأحداث بالفعل؟! جن جنون «حلمي مهران» الذي ظل يمسك رأسه يحاول إدراك واقعه من الخيال، قبل أن يلمح «سليمان» من خارج باب الغرفة الزجاجي، وصوته يجلجل في ذهنه:

- ها أنت تبحث عن الحقائق، مستعينًا بذكائك ولكنك تجهل دهائي، فمنذ أمد التاريخ وأنا الباقي، فليس لك بقِبلٍ من حيلي، فلتستسلم قبل فوات الأوان، فلتستسلم قبل الأربعين!!!

***



(03)

في غرفته في قبو المستشفى كان الدكتور «صلاح» في عزلته يقرأ روايته المفضلة «لمسة مليكا» متشوقًا إلى شيء ما، متلهفًا إلى زمان مضى منذ آلاف السنين، ليظل يتابع هذا الكاهن ذا القدم المعدنية وذلك الفرعون الحالم، قبل أن تقاطعه رئيسة التمريض فجأة:

- يا دكتور الحقنا، «حلمي مهران» فاق وبيكسر في كل حاجه.

- «حلمي مهران» تاني!!!

ترك «صلاح» روايته وتحرك خلفها في توتر، لتظهر صعوبة حركة قدمه اليمنى ذات الطرف الصناعي، بينما كان «حلمي مهران» في غرفة مستقلة الآن يدفع بالممرضين كالمجنون بقوة مفرطة وغير طبيعية، كالثور الهائج، لا يستطيعون السيطرة عليه، حتى ابتعدوا عنه، عدا واحد منهم حاول جذبه بالقوة ليمسك بـ«حلمي مهران» من رقبته ويرفعه إلى الحائط خانقًا إياه بغضب متناهٍ، ليخرج ممرض من الاثنين الآخرين بحقنة مهدئة ليضعها بجسد «حلمي مهران» الذي التف ويدفعه بقوة أسقطت الممرض، قبل أن تبدأ الحقنة في مفعولها، ليتراخى تاركًا من كان بيده، ثم يبدأ بالسقوط، لينقض ثلاثتهم عليه، في لحظة دخول الدكتور «صلاح» مع رئيسة التمريض، ليصرخ فيهم:

- إنتوا بتعملوا إيه يا مجانين؟!



- يا دكتور ده ملبوس...

- ملبوس إيه وجنان إيه؟!!! إبعدوا عنه!!!

اعترض من كاد أن يفتك به «حلمي مهران» قائلًا:

- يا دكتور ده كان هايموتني.

اقترب «صلاح» من «حلمي مهران» الذي كاد يفقد الوعي، ليرى بريقًا غريبًا في عينه ريثما هو ينظر إلى خارج الغرفة حيث كان ثلاثتهم هناك، إخوة «ملك» الثلاثة يتوسطهم قائدهم أطولهم طولًا، وأكبرهم حجمًا «عبد الوارث» ينظر إليه في سكون قبل أن يفقد «حلمي مهران» الوعي.

***

من منزل «الألفي» يظهر الإخوة الثلاثة حول تلك المائدة المستديرة، يتحدث أخوهم الأكبر «عبد الوارث» بينما هو يشاهدهم من مكان ما، فلقد كانوا ثلاثة وكان هو رابعهم!

- كلام «أكرم» طلع صح، وشيطان أختنا «ملك» كان موجود، وقدر يخلص على ابن أختنا «فريد»، دم «فريد» في رقبتنا إحنا التلاته، «فريد» زي ما هو ابن «الجوارحة»، هو ابن «الألفية»، وأكيد كل ده حصل لسبب، إحنا لازم نروح بيت «الجارحي»، ما هو بيت أختنا، ولازم نورث همها، وده اللي هانعمله أول حاجه بكره الصبح.



قالها دون أن يستمع إلى ردودهما، فلقد كان قائدهم، أطولهم طولًا، وأكبرهم حجمًا!!

***

اخترق نور الصباح نافذة غرفة «حلمي مهران» بالمستشفى، ليستيقظ منفعلًا من على السرير قبل أن يهدئه «صلاح» الجالس إلى جانبه.

- يا عم اهدى بقى...

- هما فين؟!!

قالها متفقدًا المكان بنظره، بينما جاوب «صلاح» دون أن يفهم السؤال:

- جايين في السكه.

- هما مين؟!

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

علق «صلاح» بخيبة أمل متابعًا:

- يا بني ارحمني بقى من الجنان ده، هايكون مين يعني؟ أهلك واصحابك.

وقف «حلمي مهران» وتحرك ناحية الباب، ليأمره «صلاح»:

- يا «حلمي» ارجع سريرك وماتطرنيش أخدرك تاني.



ألقى «حلمي مهران» نظرة خارج الباب وهو يقول بثقة بتلك الملابس شبه العارية، التي يعاقبون بها المرضى، معايرين إياهم بمرضهم:

- جرب...

- أفندم!!

- بقولك جرب.

كررها «حلمي مهران» بثقة أحرجت «صلاح» ليُغيِّرَ الموضوع:

- إنت بتدور على مين؟!

عاد «حلمي مهران» إلى النافذة وهو يقول:

- «عبد الوارث»، و«عبد السميع»، و«عبد البصير».

- ههه، مين دول؟ أوليه!!

لم يتجاوب «حلمي مهران» لدعابته التي كانت صحيحة على أي حال، فلقد اعتبر الكثيرون أبناء «الألفي» من الأولياء الصالحين، بينما أجاب «حلمي مهران» صراحة:

- إخوات «ملك».

- ومين «ملك» دي كمان إن شاء الله؟!

- مرات أخو «أكرم» اللي أنا عملت معاه الحادثه.

- إيه يا «حلمي» الألغاز دي؟! وبعدين إنت عرفت اسمه



إزاي أصلًا؟!

التف «حلمي مهران» إلى «صلاح» في حيرة:

- ما هو ده اللي أنا عايز أفهمه، إنت عملت في مخي إيه؟!!

صارخًا قالها، ليقف «صلاح» مدافعًا:

- أنا معملتش غير إني أنقذت حياتك، ومش مره واحده ده بقى اشتراك... وبدل ما تشكرني كل مره ترجعلي بالغضب ده، صدقني يا «حلمي» أنا عايز أساعدك، بس لازم تفهمني.

أمسك «حلمي مهران» رأسه متألمًا.

- أنا مخي هايقتلني من اللي بشوفه.

- بتشوف إيه؟!

- كل حاجه، كأني مفتوح على الدنيا، والصداع هايفرتك دماغي، فين المسكن؟

قالها صارخًا قبل أن يقترب الدكتور «صلاح» محاولًا تهدئته:

- إنت مش محتاج مسكنات.

- لأ محتاج، فين المورفين؟!!

- قلتلك هاتبقى مدمن.

- طب اتصرف، الصداع هايموتني.



بضعف قالها «حلمي مهران» قبل أن يبدأ بالانهيار واقعًا أرضًا، بينما كان الإخوة الثلاثة عند الباب يبتسم قائدهم، من كان أطولهم طولًا وأكبرهم حجمًا، فلقد كانوا ثلاثة وكان هو رابعهم!!!

***

من أمام منزل الجارحي الخالي من أي حراس توقف إخوة الألفي الثلاثة ينظرون إليه في توجُّسٍ لا يخلو من رهبة، يدلف ثلاثتهم من باب العقار في خفةٍ وهدوء، يتسربون الهُوَيْنَى من جانب دكة الحراسة الخالية، قبل أن يلمح أصغرهم تلك الدكة، ويعلق الآخر وقد أثار انتباهه شرود أخيه:

- شايف حاجه؟!

أومأ الأخ الأصغر «عبد البصير» بالإيجاب وهو يضع يديه داخل جيبه كعادته إذا توتر أو تفاجأ بأمرٍ ما! فلقد تراءى «سليمان» على دكته للجميع، إنه ذاك الحارس الستيني الضرير، ذو العباءة الكتّانية، بجانب «أطياف» العجوز، صاحبة الرداء النسائيّ الأسود الذي لا تبرحه، وحالما انتبها إليهم وقفا بصورة مريبة، لتعلق «أطياف»:

- خرج الجوارحه وجم الألفيه!!

فطن الأخ الأوسط «عبد السميع» للكلمات، فالتفت مقتربًا؛ ممَّا زاد من رهبة «سليمان» الذي أجاب:



- اسكتي يا «أطياف»، دول مختلفين، فيهم اللي بيسمع.

قالها ناظرًا إلى «عبد السميع»، قبل أن ينظر إلى «عبد البصير» متابعًا:

- وفيهم اللي بيشوف!

تراجع «سليمان» و«أطياف» في شيء من الوجل من تقدم «عبد البصير»، الذي تحرك خلفهم، قبل أن ينتبه إلى أخيه الأكبر وقائدهم الذي جذبته حديقة العقار الأمامية، ليدنو مقتربًا من شيءٍ ما، إنها تلك البقعة الصغيرة التي نبت منها هذا الزرع الميت أسود اللون!! تحرك «عبد الوارث» وخلفه أخواه، حتى وصل ليجثو على ركبتيه ومن ثمَّ هما على أثره كذلك، فأمسك التربة ليشعر بمن سكن أسفل التراب، فرفع يديه ليتمتم بالفاتحة، مترحمًا على من مات ودُفن هناك!!

ثم قام واقفًا ومن بعده أخواه ليدخلوا العقار، إلا أنه يجذب كالنداهة إلى القبو، ليتقدم أخواه كدأبه، حتى وصلوا عنده، ليدخلوا هذا القبو الصغير حيث ظل ثلاثتهم يتأملون، ويبحثون عما إن وجدوه سيهلكون، بين تلك الحوائط الحجرية، والأرضية ذات البلاط قديم الطراز، حيث المكان ضيق جِدًّا يكاد يتسع للجميع، حالما اكتملت عدتهم داخل المكان بدأوا يسمعون أصوات الأنفاس، ثم شيئًا فشيئًا أخذت ترتفع قليلًا، فلقد كانوا ثلاثة و(هو) رابعهم! يراقبهم، كاسرًا حاجز الصمت، ليلاحظ



«عبد الوارث» شيئًا ما عند منتصف الفراغ أسفل الأرض، ليجثو على ركبتيه، قبل أن يبدأ صوت الطبول في التصاعد، والذي سمعه بالطبع الأخ الأوسط «عبد السميع» الذي سارع لوضع القطن داخل أذنيه منزعجًا، ثم خرج بسرعة فتبعه «عبد البصير» مهرولًا، ولكنه كاد يصطدم بـ«أطياف» الواقفة عند مدخل الباب، ترمقه بنظراتها الحادة التي أرهبته، بينما ظل «عبد الوارث» محدقًا فيما كان داخل الأرض، لا يكترث لـ«سليمان» الضرير الذي كان يراقبه أيضًا من خلف قضبان النافذة الحديدية! حتى بدأت الساعة المعلقة على الحائط بالرجوع إلى الخلف عكس طبيعتها بسرعة لتكشف ما حدث منذ عشرات السنين!

من داخل نفس المكان، ولكن منذ أكثر من سبعين عامًا، ليتراءى له ما بدا وكأنه هذا الرجل اليهودي الغريب ذو الخمسين عامًا الذي يرتدي ملابس استكشافية غريبة، على عينيه نظارة دائرية قديمة، والتي كانت متاحة في أربعينيات القرن الماضي! كان ذلك الرجل حينها يضع بلاطًا في الأرضية ليخفي شيئًا ما، ثم أهال عليه التراب، ومن فوقه سجادة عريشية قديمة، إلى أن جاء من بعيد «محيي الجارحي» جد «أكرم» والذي كان بالطبع في شبابه حينها، ليتقدم محييًا صاحب المكان.

- سلامو عليكوا يا خواجه.

- أهلًا يا «محيي» أفندي اتفضل.



قالها مشيرًا إلى منضدة خشبية فقيرة وضع عليها الكثير من الأوراق بجانب شمعدان خماسي من الشمع يضيء المكان.

- يزيد فضلك، بس إنت عارفني إزاي يا خواجه؟!

نظر الرجل في عين «محيي» ليقول:

- وهو مين مايعرفش عيلة «الجارحي»؟!

اندهش «محيي» الذي لم يكن يعرف لِمَ استدعاه الرجل!

- والله يا خواجه أنا مش فاهم بعتلي ليه! كنت ممكن تشرفني في الدكان.

- معلش هنا أأمن.

- أأمن؟!

كررها «محيي» مندهشًا:

- أنا عارف إنك بتدور على بيت تتجوز فيه.

- هه، مفيش حاجه بتستخبى في البلد.

قالها «محيي» ساخرًا:

- وعشان إنت راجل أمير أنا هاوهبلك البيت ده.

- أفندم!!!

- ماتستغربش يا «محيي».



علق اليهودي، ثم جلس وتابع في هدوء:

- إنت عارف إن الألمان دخلوا العلمين، وممكن أي وقت يوصلوا المكان اللي إحنا واقفين عليه هنا.

تفهم «محيي» خوف هذا اليهودي، فهم أحرص الناس على حياة!! ولقد كانوا يبيعون أملاكهم بمبالغ زهيدة بالفعل، ولكنه لم يكن يعرفه معرفة كافية ليختاره.

- طيب إشمعنى أنا!!

- ماتسألش يا «محيي» أفندي، بس صدقني إنت أنسب واحد وأأمنهم.

- والله كتر خيرك لو إني مش فاهم حاجه!

- مش مهم تفهم، المهم أنا عندي تلات شروط.

- اشرط يا خواجه.

قالها «محيي» في ثقة يجهل ثمنها.

- أولاً تحافظ على الحراس وماتقطعش عيشهم أبدًا.

على الفور أبدى «محيي» الموافقة قبل أن يؤكد الرجل:

- لا إنت ولا ولادك ولا حتى أحفادك!

اندهش «محيي» ساخرًا وهو يقول:

- ربنا يديهم العمر.

- هايديهم ماتخافش.



قالها اليهودي وهو ينظر إلى «سليمان» و«أطياف» الواقفين في الخارج يراقبان المشهد.

- والشرط التاني؟

قام الرجل وهو يقول:

- لو الظروف اتغيرت ورجعلك حد من ولادي تبيعله البيت.

بنخوة ورجولة التفت إليه «محيي» قائلًا:

- أكيد يا خواجه ومش بيع وشِرا، ساعتها الحق يرجع لأصحابه، أنا «محيي»...«محيي الجارحي».

- وعشان كده أنا اخترتك.

- طيب والشرط التالت؟

ساد الصمت مع ابتسامة اليهودي، قبل أن يهمس به دون أن يسمعه التاريخ لترتفع صوت الطبول مع نظرة «سليمان» الغاضبة حالما استعادت الساعة دورتها الطبيعية من جديد لتعمل على الوجه الصحيح ناقلة إيَّاهم، مرورًا بالأحداث سراعًا، وصولًا إلى وقتنا الراهن!! حيث كان «سليمان» منتصباً في مكانه كالتمثال المتسمّر تثبيتًا، يرمق «عبد الوارث» بنظراتٍ متلاحقة، حين بدأ جسد الأخير يرتعش حتى قبضت عليه بغتةً تلك الأيادي بقوة، ليلتفت ويجدهما قد عادا، إنهما أخواه يستوقفانه قبل فوات الأوان، ومن ثَمَّ خرج ثلاثتهم تاركين «سليمان» الذي



بات في الداخل يتوسط المكان يضرب بعصاه الأرض لتتوقف الطبول!

***

استفاق «حلمي مهران» للتو مع توقف صوت الطبول في أذهانه من داخل جهاز الأشعة المغلق الذي كان فيه بوقت آخر! ليحاول الخروج منه فجأة ويبدأ في الخبط عليه بتوتر، ليدخل من الخارج الدكتور «صلاح» مسرعًا ويقوم بتحريك الجهاز، ليخرج «حلمي مهران» يغمره العرق.

- إيه يا «حلمي» ما اتفقنا تقعد بدون حركه، هي كلها نص ساعه.

حاول «حلمي مهران» استعادة عقله، وهو ينظر إلى المكان والماسح الذري، فتفهم أن الوقت لا يزال لاعبه، فشرع ينظر إلى ساعة الحائط حيث كان الوقت متوقفًا.

- هو أنا بقالي قد إيه هنا؟!

- مكملناش نص ساعه.

- أنا فوقت إمتى؟!

- تاني يا «حلمي»؟!

- أنا فوقت إمتى؟!

كررها «حلمي مهران»، ليستجيب «صلاح» الذي شك في ذاكرة مريضه.



- إمبارح يا «حلمي».

- و«هشام» وماجي» فين؟

- راحوا لـ«سما» زي ما اتفقنا يا «حلمي» هو في إيه!! إنت حاسس بفقدان ذاكره نسبي؟

تساءل «صلاح» بوضوح لينفي «حلمي مهران»:

- بالعكس، أنا فاكر بزياده يا دكتور.

- طيب تعالى ريح في أوضتك، إحنا كنا تقريبًا خلصنا.

- أنا عايز أشوف «أكرم».

- ما إنت عارف إن «أكرم» لسه ما فقش يا «حلمي».

- وأنا بقولك عايز أشوفه...

أصر «حلمي مهران» ليستجيب الدكتور «صلاح» الذي أبدى فضولًا لاستكشاف مريضه، ليتجها سويًا إلى غرفة «أكرم» حيث كانت «سما» قد وصلت للتو تتفقده ملامسة شعره الرمادي بحنان:

- قوم يا «أكرم»، مابقاش عندي غيرك، ماتسيبنيش لوحدي.

لحظات من الحنين قبل أن يدخل الدكتور «صلاح»، ومن بعده «حلمي مهران»:

- إزيك يا «سما»؟ جيتي إمتى؟



- لسه حالًا يا دكتور.

- ده أستاذ «حلمي مهران»، صديقي ومريض هنا.

- أهلًا.

هز «حلمي مهران» رأسه وهو يبحث عن شيء ما في المكان بعينه، بينما تابع «صلاح»:

- طب أنا شايف مجيتك كل شويه دي ملهاش لزوم، الحاله مستقره الحمد لله.

- يا دكتور أنا ما بقاش عندي غيره، أنا خلاص بقيت لوحدي.

- لأ أنت مش لوحدك يا «سما».

بتلقائية قالها الدكتور قبل أن يتابع:

- ربنا موجود يا «سما»، صدقيني ربنا موجود...

- ونعم بالله يا دكتور.

- طيب ممكن تتفضلي معايا كده دقايق.

قالها مشيرًا إلى «سما» التي تجاوبت:

- أكيد يا دكتور.

- معلش يا «حلمي» هاحتاج المدام على انفراد، تقدر تستناني هنا.

أردف «صلاح» غامزًا «حلمي مهران» محققًا وعده



ليهز الأخير رأسه في عرفان، قبل أن تخرج «سما» مع «صلاح» ويظل «حلمي مهران» وحيدًا مع «أكرم» المستلقي، قبل أن يسمع من خلفه يقول:

- مش قلتلك؟ الفضول هايحركك.

التفت «حلمي مهران» للصوت القادم من خلفه، ليجده «أكرم» جالسًا على المقعد.

***



(04)

من داخل شقة أختهم «ملك» ظل ثلاثتهم يتفقدون المكان في حيطة، ولقد كان «عبد الوارث» أكثرهم صرامة في تنقيبه، بينما ظلت الرؤى تطارد «عبد البصير» الذي توقف عند غرفة «ملك» يشاهد ما حدث منذ سنين عندما خرج منها زوج أخته «نبيل» منزعجًا من طقوس زوجته الغريبة التي كانت بالداخل تقرأ كتابها، لتبيع نفسها، ظل «عبد البصير» يشاهد الأوراق تتناثر من حول صورة أخته «ملك» ليتذكر ما حدث عند صغره، ما شاهده دون غيره، عندما قررت «ملك» بيع نفسها، وكان هذا منذ سنين عشرة، داخل غرفتها بمنزل «الألفي»، عند منتصف الفجر، حينها ظن «عبد البصير» الذي كان صغيرًا أنها كانت تصلي، وقد كانت!

من أمام النافذة توقفت «ملك» حينها تدعوه دون غيره، مؤمنة بوجوده (هو) من حولها يراها وتتعبد له، وهي تقرأ في كتبه عله يظهر لها، تسمر «عبد البصير» من هول الموقف، لقد كانت أخته الصغيرة حينها تبكيه بحرقة ليأتي إليها مخلصًا إياها من إخوتها الذين كرهتهم، فلقد كان لعيشها معهم نقمة، فلقد شعرت دائمًا بالنقص من جانب قواهم، فلم تكن تتمتع بما يمتلكون، ظلت «ملك» تردد أدعيتها، مصلية بإيمان كافر إلى من يعطيها امتيازًا كأخواتها، كانت تجهل حينها الثمن الذي ستدفعه، حتى جاءتها حينها البشرى، ليرى «عبد البصير» تلك الستائر



وهي تتحرك رغم توقف الهواء، مجسدة جسدًا ما، جسدًا خاليًا من أي روح أو سكينة، ينظر لها في رضا، لتبتسم «ملك» وتركع إليه ليرضى عنها ويلقنها مواثيقه، تلك المواثيق التي وقعتها «ملك» في طفولتها بدمائها، لتبيع ما لا تملك إلى من لا يستحق، ولكنها علمت أن للقاء ميعادًا، وللميعاد مكان محدد تعبر منه الجسور، مكان كانت تجهله حينها، مكان انتظرها (هو) فيه منذ أمد التاريخ وإلى آخر الزمان.

- لكل أجل كتاب وكل وعد ميعاد.

رددها «عبد السميع» من جانب أخيه الذي عاد من ذكرياته مندهشًا من حديث أخيه جاهلًا ما كان يسمع الأخير في تلك اللحظة!!!

نخرج «عبد السميع» متبعًا ما يسمعه، تلك المعزوفة التي شدت أسماعه، كان العزف نابعًا من الصالة الخارجية، فتحرك بصمت حتى وصل إلى هذا البيانو الخالي الذي تحركت أضلاعه في عزف منفرد، كانت المعزوفة حزينة تعكس آلام مجهول يعزف من عالم آخر، لم يره «عبد السميع» حتى ظهر أخوه «عبد البصير» الذي تسمر من هول ما رأى، فلقد كانت (هي) بثوبها الأبيض الملائكي، ولكن بوجه قبيح لا يمتلكه بشر، ليتسمر مكانه قبل أن يتدخل أخوهم الأكبر، «عبد الوارث» ويحطم البيانو بمطرقة كبيرة، فلقد كان قائدهم أطولهم طولًا وأكبرهم حجمًا، حتى انتهى وعاد لينظر إلى إخوته قائلًا:



- إحنا هنا مع بعض لغاية ما نصلح اللي أختنا «ملك» عملته، فاهميني!!

استسلم الأخوان إلى قائدهما الذي تابع:

- ماتخافوش مش هانطول، هانمشي بعد الأربعين!!

قالها لهم بينما «حلمي مهران» يراقبهم في صمت، فلقد كانوا ثلاثة وكان هو رابعهم!

***

- إنت بتشوف كتير يا «حلمي» صح؟

تساءل «أكرم» للتو من داخل غرفة المستشفى، بينما ظل «حلمي مهران» شاردًا، ليتابع «أكرم» متحديًا:

- وطبعًا إنت نفسك تعرف الحقيقه من الجنون.

بفضول لا يشبع يسأله «حلمي مهران»:

- إنت عايش ولّا ميت!

- إنت أدرى، إنت عشت أكتر من سنه في الغيبوبه دي، شوفت فيها اللي محدش صدقه.

- بس أنا صحيت.

- يمكن..ويمكن تكون لسه في الغيبوبه.

- لأ.

يقولها «حلمي مهران» قبل أن يدخل «صلاح» مندهشًا:



- إنت بتكلم مين يا «حلمي»؟

نظر «حلمي مهران» إلى الغرفة الخالية إلا من جسد «أكرم» المستلقي لينظر أرضًا ممسكًا رأسه كالمجنون!

***

من داخل مكتبها بالمصحة ظلت «سما» تدون الكثير من أفكارها الحائرة، على صفحات أوراقها، تكتب ما كاد يصيب عقلها بالجنون، فلم يعد علمها يجيب على ما تراه وتشعره، كانت غرفة مكتبها صغيرة تفتقد لأي دفء، فالمكتب معدني والحوائط بيضاء، تخلو من أي حياة، بينما ظلت تتابع سرد أفكارها:

«لم أرَ فريدًا حتى الآن، بل ولم أعد أرى أمي منذ شهور، هل كنت واهمة؟! هل فقدت عقلي حال الجميع؟! كثيرًا لم أعد أفرق بين الحلم والعلم، إن كان العلم صحيحًا، فلم أهب قراءة ذلك الكتاب، هل هناك سحر في عالمنا؟! هل هناك بالفعل أرواح قد تطاردنا؟! من يبالي في سؤالي؟! هل رجال الدين يعلمون ما أجهل؟! وأي دين سيجيب؟! وأي عقيدة أتبع؟! هل أنا حقًّا سوية، أم مجنونة كالجميع؟!».

- ماتخافيش...

سمعتها «سما» ليتوقف قلمها عن الكتابة قبل أن تكررها:

- ماتخافيش.

نظرت «سما» لتجدها إحدى ممرضاتها، تحاول مناداتها:



- ماتخافيش يا دكتوره ده أنا.

استعادت «سما» أنفاسها وتركت القلم متسائلة في تنهيد:

- آه...خير!

- في حد جِه زياره للست «نادية».

- «نادية»!!

علقت «سما» مندهشة، لتجيب الممرضة:

- أيوه يا فندم، الست «نادية»، بيقول إنه «سامر» ابنها..

اندهشت «سما» وتراجعت على كرسيها قبل أن تكمل الممرضة:

- المشكله إنه معاه كلب.

- أفندم!!!

- زي ما بقول لحضرتك كده، معاه كلب وعايز يدخل بيه المصحه.

- طب اسبقيني على تحت وأنا هانزل أتصرف.

انصرفت الممرضة تاركة «سما» في وحدتها، وضعت «سما» متعلقاتها في حقيبتها ثم توجهت ناحية الباب لتغلق الإضاءة وتخرج من غرفتها، قبل أن تتذكر ورقتها التي كتبتها للتو، فعادت إلى الداخل، لتصرخ من فورها عند رؤيتها لها جالسة على مكتبها تقرأ كلماتها، لقد كانت



(هي) «سما» نفسها أو هكذا صُور لها، لتلتفت (هي) إليها تنظر لها في ترقب، وهي تقف لتحرق تلك الورقة التي كتبتها «سما» مبتسمة قبل أن تهرع إليها لتهب «سما» إلى الخارج، تتلفَّت مذعورةً خلفها، حيث كانت (هي) تقترب منها رغم مكوثها واقفة على حالها... تعاود الكرَّة محاولةً الإسراع من حركتها، فتذهب محاولاتها سُدًى دونما فائدة حتى اصطدمت به!! ليتعالى مُدوِّيًا صراخها..!!

***

من أسفل منزل «الجارحي» الذي يحرسانه كانت «أطياف» تحدث «سليمان» متخوفة:

- إنت حاسس باللي أنا حاسه بيه يا «سليمان»؟!

- راح «المعتصم» وجيه غيره.

- بس دول ولاد «الألفية» يا «سليمان».

- جم لقدرهم يا «أطياف»، لكل أجل كتاب، ولكل وعد ميعاد.

قالها من مكان حراسته وهو ينظر إلى أعلى بعينه الضريرة، حيث كان «عبد البصير» يبصره في ترقب.

***

في ردهة المصحة ظلت «سما» متسمرة أمامه بعدما أمسك بها بقوة كنظراتها داخل أعينه.



- إزيك يا «سما»؟

ظلت مبهوتةً في صمتها حتى نبح الكلب (الجيرمن) من جانبها.

- أنا «سامر»...»سامر رياض الجارحي» مش فكراني؟!

انتبهت «سما» أخيرًا للشاب العشريني ابن «رياض» الأخ الأكبر لزوجها الذي اختفى أمام أعين زوجته «نادية»، منذ أيام قليلة قبل انتحار «فريد» وحادث زوجها.

- ها، أهلًا أهلًا يا «سامر» حمد لله على السلامه، إنت إزاي دخلت بالكلب ده هنا؟! إحنا في مصحه مش في نادي.

قالتها وهي تنظر بارتياب إلى هذا الكلب المصري العريق الذي لم يستطع أي من موظفي الأمن إيقافه!

***

من غرفته جلس «حلمي مهران» أمام «هشام» و»ماجي» اللذين يقصان عليه ما فعلا مع «سما»، بينما يستمع هو بملل، فلقد كان يعلم بالفعل ما حدث.

- وقالتلنا إن في الأربعين يوم كل حاجه اتغيرت، «معتصم» جارهم مات، وأخو جوزها «رياض» اختفى، ومراته «نادية» اتجننت، و»فريد» ا...

- انتحر.



قالها «حلمي مهران» متدخلًا، ليضحك «هشام»:

- هه، إنت كنت معانا ولا إيه؟!

لم يضحك «حلمي مهران» أو «صلاح» مما أشعر «هشام» بالتوتر، فعدَّل من جلسته.

- إيه.. إنت كنت معانا فعلًا ولَّا إيه؟!

***

من مكتبها كانت «سما» جالسة في خوف تنظر حولها في كل مكان، ليظن «سامر» أنها خائفة من كلبه ليقول:

- ماتخافيش من الكلب، إحنا برا بنتحرك بيهم في كل حته.

- حصل خير، كلمي، بس مين اللي بلغك باللي حصل؟

- مجموعه شغال معاها برا.

اندهشت «سما» معلقة:

- إزاي يعني؟! وعرفوا منين؟! اللي حصل محدش عرف بيه!

- والله أنا استغربت برضه، بس عرفت إن في مشتري مهتم بالبيت، وبيدور على الورثه.

تفهمت «سما» السبب الحقيقي حول عودة «سامر» الذي لم يكن ليهتم بما حدث لأبويه، لتعلق ساخرة:



- يعني مش جاي تدور على والدك!

- بالعكس، أنا جاي أعرف هو عايش ولَّا ميت، عشان ورق الميراث.

- هو ده كل اللي همك؟!!

- «سما» أنا عايش في أمريكا بقالي عشر سنين، واتعلمت قيمة الوقت، والحياه، فبلاش والنبي كلام الإنشا ده، وخليني أقابل أمي يمكن أعرف منها مكان أبويا.

- فكرك محاولناش معاها؟ أمك الوحيده اللي شافت اللي حصل لأبوك «رياض» بس للأسف مخها راح، مش بترد على أي حد من ساعة اللي حصل، وأبوك فص ملح وداب، مش فاضل غير كرسيه المتحرك وعكازه.

- معلش برضه خليني أقابلها، يمكن تقولي اللي خبيته عن الناس كلها، مش يمكن تكون خايفه من اللي قتله؟

- إيه الكلام ده؟! مين قال إن أبوك اتقتل؟! مين هيفكر يقتله؟! وهايقتله ليه؟!

- أكيد حد عارف قيمة البيت، اللي الخواجات برا عارفينها، ويمكن كمان مش عايز نصيبه في التركه يقل!!

- أنا مسمحلكش.

قالتها «سما» بعدما نهضت واقفةً من توها مُغيرةً دفة الحديث إلى وسيلة أكثر جديةً معلنة عن غضبها وهي تزمجر بنبرة حادة، وبصوتٍ عالٍ، بينما عملت على منعه



من إكمال ثرثرته قبل أن يسخر معلقًا:

- أنا موجهتلكيش كلام يا «سما».

تنبَّهت «سما» إلى ردود أفعالها المبالغة، وما كان منها إلَّا أن عملت على تخفيف آثار ما حدث فعادت إلى مقعدها، تجلس و(هي) شاردة، عائدةً رويدًا رويدًا إلى طبيعتها تتدارك ما أدى إلى انفعالها المتزايد!! حتى سمعت صوته يتردد صداه في أذنيها، صوت «سليمان» يناديها بـ«المجنونة»!!

خرج «سامر» من تلك الردهة مع الممرضة ونزل على السلالم الشرفية الواسعة للمصحة، فلقد كانت قصرًا في الأصل قبل أن توظف في خدمة كل من فقد عقله أو استرجعه!

من عنبر ٦ دخل «سامر» وسط كل سيداته الشاردات، توقفت الممرضة عند باب العنبر وأشارت له إليها في آخر الممر يسارًا، حتى وصل إليها، وهي ستينية شقراء، كانت شاردة كالجميع، حتى رأته فاستعادت وعيها فجأة قبل أن تصرخ بصوت جهير أخاف كل من في المصحة، حتى سمعت صراخها «سما» من الطابق العلوي، حال الكلب الذي سبقها إلى الخارج مع علو ضحكاته (هو) من أمامها، لتسارع خلف الكلب، ليصلا في ثوانٍ إلى «نادية» التي حاولت تنبيه ابنها:

- إهرب يا «سامر» إرجع مطرح ما جيت، إهرب يا



«سااامر».

قالتها قبل أن تبدأ الممرضات في إمساكها ولكنها دفعتهم بقوة غريبة أرضًا لتكمل:

- إهرب يا «سامر» قبل ما يرجع.

- هو مين يا أمي؟!! ماتخافيش.

- (هو) اللي أقرب ليك من نفسك...هههههه.

قالتها «نادية» بصوت «سليمان» الجهير وسط ذهول الجميع، قبل أن يحاول «سامر» إدراك مصلحته متسائلًا:

- طب أبويا فين؟!

- إدَّفن....

- إدَّفن فين؟!!

- إسألها، ما (هي) اللي دفنته، (هي) اللي عملت فينا كلنا كده...

بصوت «سليمان» قالتها وهي تشير إلى «سما»، قبل أن تعاود الممرضات جميعًا في الإمساك بـ«نادية» حاقنين أوردتها بالكثير من المهدئات، لتسكن «نادية» أخيرًا، وتعود إلى نفسها، لتقول جملتها الأخيرة قبل شرودها:

- إنت مش قده (هو) ولّا (هي) ما كلهم في الآخر واحد، إهرب يا «سامر» إهرب قبل فوات الأوان.

قالتها وهي تنظر إلى «سما» التي ظلت متعجبة مما يدور



حولها...بينما ظهر «أكرم» من خلفها يراقب ما يحدث لها مستغربًا مندهشًا!!

***

- وهي ليه «سما» قالتلكوا كل ده؟!

تساءل «حلمي مهران» مشككًا في نية «سما»، لتجيب «ماجي»:

- وهاتخبي ليه؟

- يعني اتنين يخبطوا عليا معرفهمش، يسألوا كل الأسئله دي، تجاوبكوا بكل أريحيه كده؟!

- ما «هشام» عرفها بنفسه وكان معاه كارنيهه.

قالتها «ماجي» في محاولة لتصديق ما حدث، بينما أوضح «حلمي مهران» شكوكه:

- تقوم تجاوب بدون كسوف أو توتر، وتطلع نفسها مجنونه، أو بتاعت عفاريت عادي!

- عندك حق.

علق «هشام» مؤمنًا على كلامه متابعًا:

- ده أسهل تحقيق عملته، لدرجة إني كنت ناوي أروح للناس بالطريقه دي من سهولتها.

- يعني إيه؟ كانت بتشتغلنا؟!



تدخلت «ماجي» في سخط، ليوضح «حلمي مهران»:

- أو عايزه تقنعكوا فعلًا بالكلام ده.

- بس ليه؟!

- ده اللي أنا هاعرفه بنفسي أول لما أخرج.

***

من على سريرها كانت «حنان» مستلقية في ملل قبل أن تسمع طرق الباب، لتخرج من غرفتها إلى صالون شقتها مندهشة من القادم في تلك الساعة المتأخرة وهي تنظر إلى الساعة، فتفتحه أخيرًا، لتجد «فؤاد» أمامها!

- مين..."فؤاد"؟!!!

***

كاد الدكتور «صلاح» يفقد صوابه مع هذا المناور ذي الرأس الصلب المصر على مغادرة المستشفى:

- إنت هاتقعد معانا يومين يا «حلمي».

- أيوه يا «حلمي» لو سمحت.

قالتها «ماجي» بينما طمأنه «هشام» قائلًا:

- وأنا هاتابع الموضوع بنفسي.

نظر «حلمي مهران» إلى ثلاثتهم ثم تذكر مرض عقله، فتوجه ببرود إلى سريره ليستلقي، فاندهش «صلاح»



متسائلًا:

- في إيه؟!

- عايز أنام، إطلعوا برا.

***

من داخل شقتها ظهر «فؤاد» جالسًا في الصالون يحاول تبرير ماضيه:

- أنا آسف إني جيت، بس زي ما قولتلك، مش لاقي مكان أروحه.

- روح لمراتك يا «فؤاد»، أنا مش هاقدر أساعدك.

- بس أنا محتاجلك يا «حنان».

بانكسار أجاب «فؤاد»:

- متأخر أوي يا «فؤاد»، أنا كنت ممكن أضحي بالدنيا كلها عشانك.

- وإيه اللي اتغير؟

- كل حاجه يا «فؤاد»، أنا المره الأولى اللي قربت منك، مكنتش أعرف إنك تعرف «وعد»، ولما أخدتك مني حسستني إن ده حقها، «وعد» أنانيه، بس ماتستاهلش إني أردلها اللي عملته فيا، أنا أحسن من كده.

قالتها «حنان» صادقة، بينما كانت «وعد» داخل شقتها بجانب «وليد» الذي سألها عن أبيه:



- هو إحنا هانروح لبابا تاني إمتى يا ماما؟

تبتسم «وعد» مطمئنة:

- بكره يا حبيبي من النجمه هانروحله، ممكن بقى تنام دلوقتي؟

- حاضر.

قالها «وليد» وشرع إلى النوم، لتخرج «وعد» إلى الطرقة مبتسمة قبل أن تتجه إلى غرفتها، لتبتسم حين شاهدت صورتها مع «فؤاد» المعلقة على الحائط، لتتذكره وتخرج هاتفها لتتصل به، إلا أنه توتر عندما قرأ اسمها الآن من جانب «حنان»، ليرفض المكالمة ويوجه حديثه إلى «حنان» قائلًا:

- أنا محتاج حد يحبني، وأشوف نفسي في عينه حاجه كبيره.

قالها «فؤاد» وهو يقترب من «حنان» التي توقفه.

- مش هنا يا «فؤاد»، دور في كروتك القديمه بعيد عني يا «فؤاد»، حاول تخليلي حاجه حلوه.

يلتف «فؤاد» ويتجه ناحية الباب قبل أن تستوقفه «حنان»:

- «فؤاد»...

توقف «فؤاد»، لتردف «حنان» ناصحة إياه:



- إنت مش محتاج ست يا «فؤاد»، إنت محتاج صحاب، إنت محمل «وعد» أكتر من اللازم، عايزها زوجه وأم وصاحبه وشريكه، صدقني يا «فؤاد»، حط كل حاجه في مكانها هاترتاح.

***

تدخل «سما» إلى عقار «الجارحي» شاردة من جانب دكة الحراسة الخالية، ليبتسم «سليمان» إلى «أطياف» وهي تدخل إلى العقار، لتصعد «سما» إلى

شقتها وتدلف واضعة حقيبتها على بار المطبخ قبل أن تلاحظ تلك الورقة الموضوعة جانبًا والتي كتبتها هي منذ ساعات في المصحة بخط يدها فتناولتها مندهشة!

ظلت متسمرةً، يكاد الدم يجمد في عروقها، قبل أن تعبر (هي) من ورائها للتو.. وتلتفت إلى الخلف مذعورةً!

- «مين»؟!!

تساءلت.. «سما» لتستدير في عجالة؛ بحثًا عن ذلكم الطيف العابر، وهي تجهل مصدر هذا الصوت الضاحك في المكان! حاولت السيطرة على رباطة جأشها، ثم عمدت إلى مفاتيح الإضاءة، ولكن ظل الظلام سائدًا يعم أرجاء المكان!! لتعيد الكرة وتحاول تشغيل الإضاءة دونما جدوى! لحظات من الرعب والهلع تملكتها، حتى وجدت مصدرًا للضوء في غرفتها، عثرت عليه، يومض ويَخْفُتُ شعاعًا هزيلًا منبعثًا هنالك في زاويةٍ نابعًا من جهاز الكمبيوتر الذي بالحجرة!!



اقتربت بهدوء قبل أن تسمع قهقهةً لضحكات الجالس أمام الشاشة لا تستطيع تمييز ملامحه، فما كان إلّا كالظلال وحسب، لتتساءل:

- «فريد»؟!!

أجابها الجالس بصوت «سليمان» الأجشّ قائلًا:

- «فريد» أو... ربما «ملك».

سمعتها «سما» وهي تنتبه إلى تلك الطراحة التي صارت متجسدةً حول صاحب الظلال قبل أن يتبدَّل الصوت إلى صوت أنثوي لم تسمعه منذ سنين، ولتتذكره لاحقًا!!

- أو يمكن أمك يا «سما»!

تنبَّهت «سما» لتلك الملامح التي بدأت تتكون متجسدةً وسط الطراحة لسيدة ثلاثينية.. تذكرتها جيدًا، فلقد كانت نفس ملامح أمها بالفعل.

- ماما!!!

قالتها «سما» وهي تقترب، قبل أن يختفي ذلك الحاضر ويتلاشى في الهواء ولتهوي تلك الطرحة على الكرسي، لتدنو «سما» بتوءدةٍ من تلك الطرحة الحمراء المنقوشة فتذكرتها أيضًا من فورها، إذ كانت بالفعل لأمها!!

جلست «سما» أمام الشاشة المضيئة، فسمعت منها هذا الصوت الضعيف يقول:



- ماتعيطيش.

أرهفت «سما» سمعها للصوت يصدر من تلك الشاشة أمامها.. لتجده مشهدًا قديمًا غريبًا، يعرض أمها الباكية من غرفتها القديمة في سبعينيات القرن الماضي، اقتربت «سما» من الشاشة وهي تشاهد أمها التي يقترب منها رجل غريب تجهله وهو يقول:

- صدقيني يا «عصمت»، اللي عملته ده عشان خاطرك، وعشان خاطر البنت اللي في بطنك!!

- إنت بتقول إيه يا «إبراهيم»؟! إنت كده بتقضي عليا، بتقتلني.

- صدقيني يا «عصمت»، أنا خايف على البنت.

- خايف عليها، تخليها تعيش بعيد عن أبوها يا «إبراهيم»؟!!!

- صدقيني أحسنلها ألف مره تعيش بعيد عني، أنا آسف، سامحيني، وخليكي دايمًا معاها، بلاش تخليها لوحدها!!

قالتها، ثم انتهى المشهد المعروض وأغلقت الشاشة وما انفكت الحيرة تقتلها، فلا تعرف مَن «إبراهيم» الذي كان يحدث والدتها!

- مين «إبراهيم»؟!

تساءلت لتعود أمها فجأة من جانبها تهمس في أذنها قائلة:



- أبوكي يا «سما»...

تراجعت «سما» -تبتلع ريقها- وهي تلاحظ أمها واقفة عند الباب!

- بس أنا أبويا ماسمهوش «إبراهيم»...إنتي مين؟!!

عادت الإنارة فجأة بعد انقطاعها مدة مع جلبة أحدثها صوت خبطٍ وارتطام لحظة أن اختفى الطيف، لتهرع «سما» إلى غرفتها، تجلس على السرير يرتعش جسدها، لتغطيه ببطانية ثقيلة؛ هروبًا مما يحدث!! دون أن تلاحظ هذا الوشاح الأحمر المنقوش من جانبها، وقد أخذ الوشاح يتلملم منسحبًا إلى الأسفل يسحبه شيء ما أسفل السرير، مع تصاعد صوت الطبول الذي أيقظ «حلمي مهران» للتو من داخل غرفته المظلمة في المستشفى، ليعتدل في جلسته للتو بميكانيكية غريبة كالملبوس في انتظار العائدين من تحت الأرض وفرعونهم!!!

***



(05)

من هذا المكان القريب للنيل ظهر الفرعون حزينًا على فقدانه زوجته التي بحث عنها عبر الأزمان، تلك الزوجة الأقرب إلى قلبه من الجميع، الزوجة التي اكتفى بها للمرة الأولى، كانت وفاتها بالنسبة إليه بالفعل فاجعة، وصل الفرعون إلى هذا المكان الصحراوي مع قلة من رجاله وكاهنه الأكبر الذي سأله:

- هل علمت أي من زوجاتي السابقة بهذا المكان؟!

- لا يا مولاي، فقط أنا وهؤلاء الجنود الذين وهبوا أنفسهم لتلك اللحظة.

- هل يعلمون نهايتهم؟

- بل إنها البداية أيها الفرعون، فسوف يحمون مليكتهم حتى آخر الزمان.

- إذن فلتدفن معهم ما يكفي من طعام وأسلحة، فلن أسامح من ينبش قبرها أبدًا.

- فلتطمئن إذن يا مولاي، ففي تلك البقعة لن يستطيع أنسي أبدًا نبش حرمة مليكتنا، فلن تفتح البوابلات إلا بأطهر الدماء وأثمنها.

ارتاح الفرعون وأشار إلى رجاله لوضع جثمان زوجته داخل تلك الفوهة التي جهزها الرجال على مدار أسابيع منذ مرض الزوجة وحتى تلك اللحظة التي سيدفنون فيها



أنفسهم بتلك البقعة المحددة لهم، مضحين بأنفسهم من أجل مولاهم، الذي ظل يرمق تلك الأبواب التي تُغلق من الداخل على من فيها من أسرار وكنوز أمام الفرعون الواقف بجانب هذا الكاهن ذي القدم المعدنية التي تعيقه عن مواكبة ملكه، الذي ظل خائفًا على مليكته:

- ادفن المزيد.

- أمرك يا مولاي، ولكن تذكر أن المزيد سيفسد لك المزيد!

أنهى الدكتور «صلاح» قراءة روايته للتو، ثم وضعها جانبًا وهو يتأمل الساعة، فلقد أشرق نهار يوم جديد بالفعل، ليخرج من مكتبه ببطء وهو يتكئ على طرف قدمه اليمنى التي تؤلمه، متوجهًا إلى الطابق الثالث ليكمل عمله في ذلك المستشفى المطل على النيل!!

***

من أمام العقار توقف «سامر» وهو يحمل حقيبته مع كلبه ينظر إليه في اندهاش، فلم يجد فيه ما يستحق الصراع، دخل بهدوء مع نباح الكلب الذي انزعج من نظرات الحارسين اللذين شتتاه عن استكشاف رائحة الأموات، صعد «سامر» متجهًا إلى شقة والده من داخل العقار، بينما لاحظ صوت خطوات «سما»، وهي نازلة الدرج، درجة إثر أخرى لتحييه:

- صباح الخير!



لم يجبها، ولم ينبس ببنت شفة، ومكث ثابتًا كالوتد يرمقها بنظرات عدائية، في حين أن الكلب ما انفك نابحًا نباحًا متواصلًا!! فهرعت خارجةً، قبل أن يفتح شقته ليدخل إلى شقة والده. دلف «سامر» ليدخل دون أن يؤثر فيه الحنين، فلقد كانت شقة أبيه فقيرة، عكس بقية شقق العقار التي سكن فيها أعمامه.

بينما من أسفل توجهت «سما» إلى سيارتها لتذهب إلى المصحة، فلقد كانت اليوم تبتغي الوصول إلى الحقيقة، فبعد عدة دقائق كانت «سما» في المصحة عند عنبر ٦ ممسكة بتلك الصينية الموضوع عليها الطعام والشراب، لتدخل حتى تتوسط الجميع متوجهة إلى «نادية» التي سرعان ما تجنبتها وأشاحت عنها بنظراتها، فوضعت صينيتها تلك على سرير «نادية، فاقتربت الأخيرة، وما كان منها إلَّا أن احتملتها فألقت بها أرضًا، ليثور انفعال «سما» وتخرج من العنبر محتدة غاضبة متجهة إلى مكتبها، لتكمل تدوين خواطرها:

«نادية بتقول إني السبب.. أنا السبب في اختفاء «رياض»»، طب ليه؟! كلنا عارفين إن لو «رياض» حصلّه حاجه هايبقى «فريد» ابن أخوه السبب.. أكيد عمل فيه حاجه بعد ما طرده من البيت.. كلنا شوفنا «فريد» كان عامل إزاي قبل ما ينتحر!! كان فعلًا شيطان!!»

كتبتها قبل أن تقاطعها قهقهة ضحكاتها، ولكن بصوت «سليمان» حالما سمعها، فتتوقف «سما» لحظة ثم تكمل:



«أنا مش مجنونه.. مش مجنونه!! وعارفه إن «نادية» مش في وعيها، بس هو ده اللي مخوفني.. لما يتهمني عقلها الباطن يبقى لازم أخاف!!

هو أنا فعلًا مجنو...

- إوعي تقولي كده يا «سما».

بصوت «أكرم» سمعتها «سما» للتو، لتبتسم وهي تلامس خاتم زوجيتها الأيسر، لتشعر بشيء ما لتحدث نفسها قائلة:

- «أكرم»!!!!

ثم -وعلى حين غِرَّةٍ- توجهت إلى الباب مندفعةً، قبل أن تسبقها (هي) للتو، لتتوقف «سما» وهي تراقب نفسها وقد خرجت للتو من أحشائها إلى الممر الخارجي، ولكنه لم يكن ممر المصحة، فلقد شاهدتها «سما» للتو في طرقة المستشفى، تتوجه إلى زوجها «أكرم» الذي كان في هذا الوقت مستقرًّا على أجهزة الحياة، قبل أن تعبر (هي) من أمامها بغتةً للتو.

***

عاد «سامر» من شروده عند سماع صوت طرق الباب، لينظر إلى ساعته، فاندهش من دقة الميعاد، فاتجه ليفتح الباب، ليدخل هذا الرجل الأربعيني الأصلع المرتدي بذلة سوداء مع رجل مسن من البدو دخل بينما انتظر رجاله في الخارج.



- مواعيد خواجاتي.. دي مش مصري.

علق «سامر» وهو يشير إليهم للدخول.

- معلش بقى شيخنا مستعجل.

- والله أنا مستعجل أكتر منكوا.

قالها «سامر» الذي كان ينتظر يوم المغادرة على أحر من الجمر بالفعل.

- معلش بقى، أنا لسه واصل المكان مش هاعرف أضايفكوا إتفضلوا.

- ما عندنا وقت للمضايفة.

علق الشيخ، وهو يجلس في صالون المدخل المتهالك، قبل أن يتحدث الرجل الأربعيني قائلًا:

- زي ما قلتك يا «سامر» الشيخ مستعجل، وواضح إن إنت كمان مستعجل.

أومأ «سامر» برأسه موافقًا ليكمل:

- وده اللي مخلينا متطمنين معاك، عكس كلامنا مع عمك.

- عمي؟!

- عمك «أكرم» ما كان زين معانا، وأهو خد جزاؤه.

علق الشيخ بنبرة تهديد، خدشت كبرياء «سامر» الذي



علق:

- أنا أمريكاني مش مصري..

- الشيخ ما يقصدش حاجه يا «سامر»، وأظن إنت عارف إن اللي عايز يشتري البيت مش مصري برضه، ده شخصيه واصله برا، والدليل إنه وصلك قبل ما يجد جديد.

اقتنع «سامر» وأجاب:

- وعشان كده أنا رجعت.

- يعني مش عشان التلاتين مليون جنيه؟

ابتسم «سامر» وقال:

- طيب خلاص، أديك فاهم إن المصلحه واحده، أنا بس ليا شرط عند الخواجه.

تغيرت ملامح الرجل الأربعيني الذي صار أقل عدائية:

- اشرط.

- الفلوس تتحولي على أمريكا علطول.

- والله إحنا الخواجه بتاعنا في «فرانكفورت» وأظن معندوش مانع يقوم بالتحويل من هناك.

- بس خلي بالك...

علق الشيخ ثم سكت لحظة قبل أن يتابع:

- البيت هايتكتب بإسمي أنا.



- إشمعنى!!

- وإنت مالك يا عم «سامر»؟ هو أكل وبحلقه؟

- يا سيدي تكتبه بإسمك بإسمه، إن شا الله تكتبه باسم الشيطان نفسه وأنا مالي....

قالها بتلقائية ليبتسم (هو) ابتسامة رضا:

- عال.. ممكن نخلص إمتى؟

- والله أنا لسه راجع «مصر»، ومش لاقي أبويا ومش عارف وضع عمي «أكرم».

- ممكن تعتبره ميت...

***

من غرفة «أكرم» كانت بالفعل تلك الأيادي الخفية تمتد مغلقة بعض الأجهزة، حيث هناك من يتحرك بجانب «أكرم» ليضع نهاية لحياته، فاصلًا عنه كل أجهزة الحياة، لتبدأ نهايته بالفعل! فطفق يتشنج تشنجًا عنيفًا، بينما تلاشت كافة مؤشرات النبض والضغط وغيره من الشاشة التي عُلِّقت فوق مرقده!!

بينما يردف «سليمان» بصوته في أرجاء المستشفى:

- لكل أجل كتاب، ولكل وعد ميعاد!!

سمعها «حلمي مهران» للتو من غرفته بالمستشفى، ليستيقظ فجأة قائلًا:



- «أكرم»!!

صارخًا ناداه قبل أن يقف «حلمي مهران» ويخرج من الغرفة مسرعًا إلى الممر الخارجي، ومنه إلى ممر غرفة «أكرم»، ليلاحظ خروجها و(هي) في صورة «سما» للتو من غرفة «أكرم» مبتسمة، ليحاول «حلمي مهران» إيقافها، إلا أنها تتلاشى في لمح البصر، ليعود مسرعًا إلى غرفة «أكرم» ويدخل ويتسمر مما رأى!

***

ظل «سامر» يراقب المغادرين من العقار في ترقب، فلم يكن مرتاحًا إليهم، فهو مادي أكثر منهم، لا يهتم إلا لنفسه، فإذا كان هناك من يهتم بهذا العقار كل هذا الاهتمام، يجعل منه مطمعًا له (هو) شخصيًّا. التفت «سامر» إلى الداخل، وبدأ البحث عن أي شيء يثير اهتمامه في شقة «رياض»، غرفة تلو الأخرى، حتى وصل إلى غرفة والديه الواسعة، ليجد هذا الكرسي المتحرك المترب، نادى «سامر» كلبه المدرب ليشم رائحة والده قبل أن يلاحظ هذا العكاز الواقف شامخًا، بجانب الكرسي وكأنه يشير إلى شيء ما خلفه، لينتبه إلى تلك البلكون من خلفه، ليقترب منها ويفتح إياها، بلكون صغيرة سورها متهالك مخيف، بحذر نظر إلى أسفل، ليجد تلك الحديقة الميتة، حتى أن بوسطها هناك بعض الزرع الأسود، نادوه كالنداهة، قبل أن ينتبه إلى ثلاثتهم المتوجهين إلى القبو، كان قائدهم يمسك بجهاز ما في يده، أثار حفيظة «سامر»

الذي يعرف كينونته، فدراسته كانت في التربة من الأساس، نزل من فوره مع كلبه ليتعقبهم، من أسفل...

خطوات مسرعة من هذا السلم المتهالك نزل فيها «سامر» غير منتبه لتلك الظلال التي تراقبه من أعلى، فلقد كان (هو) هناك ينتظر اللحظة المناسبة للعودة.

من أسفل كان الإخوة الثلاثة في القبو بالفعل، يتقدمهم «عبد الوارث» الممسك بهذا الجهاز الروسي الذي يرسل إشاراته إلى الستاليت لتحديد كل القراءات المطلوبة لتوثيق ما في باطن الأرض. تحرك «عبد الوارث» بين أضلاع القبو بينما «سامر» يراقب ما يحدث من تلك النافذة ذات القضبان الحديدية، لينتبه له «عبد البصير» من فوره، ليلتفت إليه بصورة مخيفة، قبل أن يقطع المشهد صوت نباح الكلب فجأة، لينتبه الجميع وإن ظل «سامر» شاردًا للحظات قبل أن تخيفه حركاتهم الثلاثية، فهرع قبلهم إلى كلبه الذي كان متوقفًا عند تلك التربة الميتة ينبش فيها، ليشعر «سامر» بالحقيقة التي علمها «عبد الوارث» الذي تأخر الجميع في تلك اللحظة وترك المفاجأة لأخويه.

***

من خارج غرفة «أكرم» يقف الدكتور «صلاح» مع «حلمي مهران» ورئيسة التمريض ومن خلفهم «سما».

- حقيقي إنت جيت في الوقت المناسب يا «حلمي»، لو كنت اتأخرت دقايق بس مكناش هانلحقه.



قالها الدكتور «صلاح» سعيدًا بوصول «حلمي مهران» في اللحظة المناسبة قبل أن يفقد «أكرم» الحياة، لتتدخل «سما» في غضب:

- بس ده إهمال يا دكتور!!!

- والله أنا مندهش إنك وصلتي لحظة الحادثه بالظبط يا مدام «سما»!!!

عقب «حلمي مهران» مندهشًا.

- تقصد إيه؟؟!!

- شوفي انتي!

في شك علق «حلمي مهران» لتدافع هي دون داعٍ:

- أنا باجي هنا كل يوم!!

- بس المره دي شكلك مرهق وتعبان، كإنك كنت بتجري من حاجه!!

أوضح «حلمي مهران» الذي كان يظنها (هي) من فعلت ذلك بـ«أكرم»!

- خلاص يا «حلمي»، معلش يا مدام «سما»، وصدقيني ده مش إهمال، ده فعل فاعل...

لم تقوَ «سما» على الوقوف فاستسلمت مبادرةً إلى الجدار مرتميةً عليه تسند ظهرها بعدما أوشكت على السقوط أرضًا من شدة ما بها من إنهاك!!



- أنا مضطر أعيّن حراسه، واضح كده إنه مكنش حادثه من الأساس!!

قالها «صلاح» مضيفًا:

- واضح إن كان في حد حاول يقتل أستاذ «أكرم» وأنا مضطر أبلغ...

شردت «سما» في صوت «سليمان» ريثما كان يضحك بقهقهة عالية، لا تخلو من نزقٍ استفزازيّ، ليعلق الدكتور «صلاح»:

- يا مدام «سما»!!

ظل الدكتور «صلاح» يناديها حتى عادت (هي) تتساءل:

- لأ أنا عايزه أنقله البيت، هو وجوده هنا بقى خطر!

- لأ.

تدخل «حلمي مهران» متوقفًا أمامها، ليتوتر «صلاح» مضيفًا:

- للأسف يا فندم «أكرم» ملوش أمل غير في المستشفى.

- هو ممكن يقعد قد إيه في الغيبوبه دي؟

تسمع «سما» تعليق «سليمان» ليتدخل قائلًا:

- لحد الأربعين... الأربعين يا «سما»، هههههه.



قالها وظل يضحك في خيالها، تتردد أصداء قهقهته بين حنايا جمجمتها التي بدا لها وكأنها تتضخم فوقها، مِمَّا دفعها لتوترٍ واضطرابٍ بارزين، لتعود «سما» إلى رشدها، فاندفع الدكتور يتساءل متوترًا بدوره هو الآخر:

- مالك يا «سما» هانم؟!

يضيف «حلمي» :

- إنتي سمعتي حاجه دلوقتي؟

- ولا حاجه...ولا حاجه، أنا بس تعبانه شويه، معلش حضرتك قلتلي «أكرم» هايحتاج يقعد هنا أد إيه؟

اندهش «صلاح» مجيبًا:

- والله ده في علم ربنا، ممكن حاله تفوق في أسبوع، وممكن شهر، وممكن سنه.

- سنه!!!

- وممكن.....

- ماتكملش....

- المهم حضرتك تبقي عارفه إن وجوده هنا ضروري، وده طبعًا هايكلف كتير.

قالها بينما ظل «حلمي مهران» يراقب التغيير الواضح في تصرفات «سما»، تصرفات لم تكن واحدة، بل تصرفات لاثنين، كل منهما له نية وصفة!



***

من داخل وكرهم أمسك هذا الرجل الأربعيني الهاتف من جانب البدو يتحدث إلى هذا الخواجه المخطط لشراء العقار:

- أيوه يا خواجه، كل شيء تمام، وكل حاجه هاتخلص زي ما إنت عايز.

من «فرانكفورت» أجابه «جون» داخل مكتبته مبتسمًا، حالما سمع الصوت:

- هذا ما كنت أتوقعه من أتباعي المخلصين.

- آه بس لو تقولي إشمعنى البيت ده بالذات!!

سأله «الرجل» متحيرًا، لينهاه «جون» محذرًا ومُرغِّبًا في آنٍ واحدٍ:

- لا تسأل وكن مطيعًا، تجد مكافأتك.

- يا خواجه إحنا خدامينك.

- أتمنى ذلك، فأنا سخي جدًّا مع خدامي.

***

من مكتبه في القبو عاد «صلاح» أخيرًا ليأخذ قسطًا من الراحة، إلا أن رئيسة التمريض كان لها رأي آخر:

- يا دكتور متأسفه بس أشعة «حلمي مهران» طلعت.



- والله دي الحاجه الوحيده اللي ممكن أسامحك فيها لمقاطعتك خلوتي.

قالها وهو يمسك الأشعة ليفتحها من فوره، لينظر إليها في دهشة؛ لتتغير ملامحه فور رؤيته لها...

***



(06)

من غرفته ظل «صلاح» يتحدث بتوتر وشك يحاول فك طلاسم ما اكتشف في الأشعة، متنازلًا عن غروره العلمي، الذي لم يجبه على حالة «حلمي مهران» ليحاول أخذ طريق آخر متماشيًا مع الأحداث:

- إنت عرفت ازاي يا «حلمي» إن «أكرم» في خطر؟

أخذ «حلمي مهران» يأكل تفاحته المفضلة، بينما هو شارد ليقول:

- ده السؤال اللي أنا بسألهولك يا دكتور، أنا إزاي بشوف اللي بشوفه! هو مش إنت الدكتور وأعظم جراح في مصر؟!!

وقف «صلاح» ممسكًا بأشعة «حلمي مهران» ليجيب:

- «حلمي» أنا مقدرش أقولك غير إجابات علميه، والأشعه بتاعتك مطمنش.

- هاموت يعني!

- كلنا هانموت.

بتلاعب يجيب «صلاح» ليعلق «حلمي مهران»:

- بس أنا مت مره فعلًا!

- عارف يا «حلمي» عشان كده أرجوك حاول تخليني أساعدك، أشعة دماغك مختلفه عن بعد العمليه، الفص



الأمامي للمخ متدهور، أنا حقيقي مش عارف إنت واقف قدامي إزاي!!

***

من سيارتها ظلت «سما» شاردة لم تلاحظ هذ الطيف الجالس إلى جانبها في السيارة، فقد كان طيف «أكرم» صامتًا، يعلم أنها لن تستطيع رؤيته، إلا أنها بدأت تلاحظ تلك الشبورة المتراكمة على زجاج سيارتها تتزايد ناتجة عن أنفاسه الثقيلة! لتشغل المساحات، إلا أن الأنفاس كانت داخلية من جانبها، فتعجبت وحاولت مسحها، لتتكرر الشبورة مع تصاعد أنفاسه، حتى يئست «سما» التي وصلت إلى العقار لتنتبه إلى هذا الزحام من أمام المنزل مع إضاءات الإسعاف والنجدة في كل مكان، فصفَّت سيَّارتها وترجَّلت بسرعة، مخترقة رجال الأمن وقد عجزوا عن منعها، مع تعجب طيف «أكرم» الذي وقف مشدوهًا حالما شعر بأخيه!!

بالداخل كان الجميع مصطفين حول تلك البقعة المحفورة كالقبر، يستخرجون جثة أبرزوها للتو من مكان حفرها، إنَّها الجثة التي علم الجميع أنها بالتأكيد لـ«رياض» الأخ الأكبر لـ«أكرم».

ما برحت «سما» تصرخ، بينما ظل ثلاثتهم يرمقونها محدقين صوبها بقوة، حال «سامر» الذي ظن فيها ما يظن، ومن وسط الجمع ظل المقدم «هشام» يُدَوِّنُ ما يراه



في ذاكرته جيدًا، ولا تزال (هي) نتذكر ما حدث في هذه البقعة جيدًا، في هذا اليوم المشؤوم الذي قُتل فيه «رياض»، فلقد كانت (هي) في الأسفل على هيئة «سما» تحفر حفرتها بهدوء قاتل، و(هي) تحدد أبعادها كالقبر، تعلم ما تفعل بدقة، ظلت تحفر حتى جهزت المدفن، قبل أن تلتفت مبتسمة إلى «سليمان» و«أطياف»، ثم نظرت إلى أعلى حيث هذا النور القادم من شقة «رياض»، جعلت تبتسم طربًا مع تعالي أصوات طبول موسيقى ذات ألحان أثرت في وجدانها عقيب أن زودتها بجرعة خفيفة من الطرب!

من أعلى كان «رياض» جالسًا على كرسيه المتحرك يصارع عجزه، ممسكًا بعصاه ومن أمامه من ظنه «فريد» يتوعد له بعدما حنث «رياض» بوعده بالحفاظ على ابن أخيه «فريد» في بيته بعد اعتراض الجميع على وجوده، خاصة زوجته «نادية» التي وجدت في «فريد» ابن الستة عشر عامًا شيطانًا كوالدته «ملك»؛ لذا أجمع الجميع على طرده من المنزل؛ الأمر الذي دفع «فريد» بالطبع للانتقام؛ لذا خاف «رياض» عندما وجده من أمامه في غرفته متوقفًا في غل، قبل أن تظهر من بعيد «نادية» التي شاهدت شيئًا آخر، فلقد رأت من ظنتها «سما» متوقفة عند باب الغرفة تفعل ما تؤمر به، بهدوء قاتل دخلت «سما» إلى الغرفة مقتربة، لتدفع «رياض» إلى الخلف ناحية البلكون وسط ذهوله ومن خلفها «نادية»



التي فقدت عقلها عندما التفتت (هي) إليها لتراها على حقيقتها، فما خفي كان أعظم! ليقع «رياض» في تلك البقعة المحفورة بمقياس محدد، لتبتسم (هي) ضاحكة بصوت «سليمان» منهيةً عملها من أمام الحراس نتعالى ضحكاتهم، لتستيقظ «سما» من نومها!!!!

***

من سريرها استيقظت «سما» صارخة على هذا الكابوس، لتضيء الأنوار في عجالة، ثمَّ رويدًا رويدًا جعلت تهدّئُ من روعها حالما أدركت كونه حُلمًا. تناولت كوبًا من الماء، إلى أن سكنت للحظات، قبل أن تسمع صوتًا ما قادمًا من الخارج، فتوقَّفت تتريَّث مرتابةً في حذر وهي تبرز إلى الصالة الخارجية!! بالخارج ظهرت تتحرك في الظلام غير منتبهة إلى الجالس على منضدة الطعام، إلى أن سمعته يخاطبها:

- حمد لله على السلامه.

بهدوء قالها، بينما هي قد عصف بكيانها إعصارٌ من الفزع؛ لهول المفاجأة، فلقد كان المقدم «هشام» يجلس على منضدة الطعام يدخن سيجارته ببرودة أعصابٍ منقطعة النظير!! فاقتربت إليه برهبةٍ باديةٍ عليها:

- إنت إنس ولّا جن؟!

سعل «هشام» ضاحكًا ثم بدأ بالتصفيق قائلًا:



- ههههه، لا برافو، حقيقي برافو..

- جن.. صح!!!

قالتها وهي تصوّب بصرها إلى ورقة كان يمسكها بيده والتي كانت قد كتبتها بيدها في المصحة هذا الصباح، ليكرر الرجل قارئًا ما كتبته «سما» سلفًا:

- «نادية» بتقول إني السبب! أنا السبب في اختفاء «رياض»!..

قرأها ثم نظر إليها متسائلًا:

- تفتكري ليه؟!

سكت «هشام» لحظة، ثم أردف مضيفًا:

- هه، هو إنتي شاكه إنك مجنونه؟!

- الورقه دي جتلك إزاي؟!!

تساءلت «سما» في حيرة، فلقد كانت تلك هي الورقة التي كتبتها في مكتبها بالفعل.

- يا دكتوره «سما» مش من أولها كده، بلاش شغل الجنان والعفاريت ده! أنا لسه موجهتش أي اتهام!!

- اتهام؟!!

- إنتي نسيتي أنا أبقى مين؟ المره دي أنا جايلك بصفه رسميه.



حالما قالها أدركت واقعها تمامًا، لتتوجه إلى النافذة فورًا، عندها أيقنت أن ما رأته كان حقيقيًّا لا غبار عليه، فلقد أبصرت من الأعلى تجمعًا كبيرًا لسيَّاراتٍ شرطيَّة حول حفر قبر «رياض»!!

- عمومًا لسه بدري على الكلام أنا حبيت بس أطمن بعد ما وقعتي من طولك تحت، خلي بالك من نفسك يا «سما» هانتكلم قريب!!

قالها المقدم «هشام» ثم أطفأ سيجارته في مِطفأة من الكريستال بجانب الورقة التي كان يقرأها ثم خرج، بينما ظلت هي مصدومة، وبشيءٍ من الوسواس ذهبت لتتأكد من وجود سيجارته حتى تتيقن من حقيقة وجوده، قبل أن تعود فتنكِّس بصرها إلى الورقة لتجدها قد تلاشت، وما إن ثاب إليها بعض رشدها أغمضت عينيها برهةً لتريح تفكيرها قليلًا، ثم فتحت عينيها غير مصدقة ما تراه، إذ كانت هذه الورقة المشؤومة تظهر لها من جديد تتطاير متراقصةً على سطح المنضدة، فبسطت لها ذراعيها تحاول أن تتلمَّسها بيديها، إلى أن وقعت يدها على هذا الكتاب فوق المنضدة، إنه الكتاب الذي كانت تعرفه وإن كانت تجهل عنه الكثير والكثير!! جلست أمامه مستسلمة، لحظة أن برزت (هي) من أمامها، تجلس في هدوء، (هي) صورة طبق الأصل من «سما» ولكنها بالطبع غيرها، ظلت «سما» تنظر إليها في تعجب تحاول معرفة من (هي):

- إنتي مين؟!



تساءلت «سما» لتجيب (هي):

- إنتي اللي مين يا «سما»؟

- أنا مجنونه؟!

- كلهم هايقولوا كده، لكن إحنا عارفين إننا عاقلين.

- إحنا؟!!

- أيوه يا «سما»، إنتي مش لوحدك، أنا معاكي.

- يعني ده مش خيال؟!

- إقري وانتي تعرفي، إقري يا «سما» إقري وهاتلاقيني في كل حته حواليكي!

قالتها (هي) قبل أن نتابع بصوت «سليمان»:

- أقرب ليكي من نفسك!!

تخلل بصوت «سليمان» إلى أذن «سما» متعمقًا لتتلاشى (هي) تاركة «سما» إلى الكتاب الذي فتح دفتيه مقلبًا صفحاته للتو على، وصولًا إلى تلك الصفحة المحددة لتحضير «القرين»، إنَّها الصفحة التي لا يستطيع قراءتها إلا قلة مختارة بعناية، ممن يستطيعون فك طلاسم تلك الحروف التي هي أشبه ما تكون برموز السُّحَّار والعرَّافين، لتبدأ «سما» في القراءة، صفحة تلو الأخرى، ترتل تراتيل الشيطان، حتى بدأ صوتها يعلو وإن كان قد صار صوت «سليمان»:



- ها قد عدتِ مرة أخرى لتطلبي المزيد.. أبشري إذن، فلن تعودي وحيدة!!

ابتسمت «سما» وواصلت بصوت «سليمان»:

- اتبعيني لتجدي الخلاص، خطوات محددة لأيام مكتوبة، لا يمكنك فيها التراجع ، فإن عزفتِ فسترين الجحيم على الأرض، وإن أكملتِ فستجديني معك أينما شئتِ.. في صورة تشبهك سأتشكل (أنا)، من البداية وحتى اليوم الأخير، الذي سنتقابل فيه، لنبرم الاتفاق بيننا، والذي سيغير من حياتنا سويًا..!! تذكري يجب أن تكوني وحيدة في خلوتك، حتى تتحرري من وحدتك!! فلتشعلي شمعتك ولتكتبي عليها ما ترين، ولنرتل سويًا ما سأهمس به داخل عقلك!!

أضاءت «سما» شمعتها ودونت عليها حروفها بعدما استسلمت له و(هي) تضع هذا الوشاح الأحمر المنقوش، لتظل تتمتم بحروفه، ثم بدا ما يمليه عليها في داخلها كالمشاهد تتعاقب؛ فتتناسخ تباعًا في أعماق ذاتها ليتصاعد صوت الطبول في عقار «الجارحي» ليبتسم من أسفل»سليمان» و»أطياف» شاخصين ببصريهما إلى الأعلى، في سعادة، بينما استيقظ «الألفيّة» الثلاثة توًا، حال «سامر» المفزوع من صوت نباح كلبه المتقطع، لتظل الطبول في التناغم التصاعدي داخل بيت «الجارحي» وحول ساكنيه!! ليبدأ الجحيم للتو!



والذي طال «حلمي مهران» للتو من غرفته بالمستشفى، ليسقط للتو مع تصاعد صوت الطبول، ليهرع إليه الدكتور مناديًا، إلا أن «حلمي مهران» ظل شاردًا لا يجيب، في تلك اللحظة التي دخلت «ماجي» فيها متوترة تتساءل:

- «حلمي» ماله يا دكتور؟!

- إندهيلي التمريض بسرعه...

***

من الجريدة دخلت «حنان» مقتربة من «سالي» التي كانت تعمل بكد في عملها، قبل أن تلاحظ صديقتها، فتوجهت إليها بحرارة:

- «حناااان».

احتضنتها في شوق قبل أن يجلسا.

- وحشاني جدًا يا «حنان» كده برضه تسيبينا وتمشي؟..

- معلش، إنتي وحشاني أكتر.

- طب طمنيني عليكي.. مالك يا «حنان»؟!!

***

من الغرفة تابع «صلاح» محاولاته لإنعاش «حلمي مهران» بالصدمات الكهربائية، بينما كانت «ماجي» تبكي قبل أن يمسك «هشام» بها فور وصوله، بينما كان «حلمي مهران» في عالمه الخاص، داخل غرفة مغلقة بإحكام



داخل عقله المريض يحاور طيف «أكرم» متسائلًا:

- إنت عايز مني إيه؟؟!

- أنا محتاجك يا «حلمي».

أجاب «أكرم» ليكمل «حلمي مهران» متسائلًا:

- محتاجني ليه؟! وفي إيه؟!

- ربنا بعتك في طريقي، دي مش صدفه، أنا معرفش إنت تقدر تساعدني إزاي، بس إنت بس اللي شوفتني.

قالها «أكرم» ثم تابع متوترًا:

- إنت بس اللي حاسس باللي فيا، أنا بين الحيا والموت يا «حلمي»، أنا خايف أوي، في حاجات كتير في حياتي متعلقه.

تجاوب «حلمي مهران» مقتربًا من «أكرم»:

- ماتخافش ربنا هايرحمك زي ما رحمني، لو في حاجه ليك ناقصه، صدقني هايديك الفرصة إنك ترجع تنهيها، المهم ماتضيعش الفرصة لو جتلك تاني.

فيعقّب «أكرم» متحسرًا:

- مش هاضيعها، بس هي تيجي، وماتجيش متأخر.

- هاتيجي، لكل أجل كتّاب وكل وعد ميعاد، متخافش، ولغاية ميعادك، أنا هاعمل اللي أقدر عليه، أوعدك.



قالها «حلمي مهران» قبل أن يتلاشى «أكرم»، ليظل «حلمي مهران» يبحث عنه قبل أن يستفيق للتو من داخل غرفته بجانب الدكتور «صلاح» الذي كان يلهث قبل أن يجلس أرضًا من التعب.

***

- حسبي الله ونعم الوكيل..

قالتها «سالي» بعد سماعها قصة زميلتها «حنان» التي تابعت ضاحكة:

- ههه، كفايه حسبنه.

- والله دي الرجاله كلها تستاهل الحرق مش الحسبنه بس، طب ماتنزلي الشغل تاني، إنت محتجاه، مش عشان فلوس، عشان تتلهي.

- يا ريت والله يا «سالي».

أجابتها «حنان» قبل أن يتدخل «تيم» من خلفها معلقًا:

- وإيه اللي منعك؟!

***

من غرفته جلس «حلمي مهران» أمام «هشام» و«ماجي» والدكتور «صلاح» الذي علق:

- أنا هاموت ناقص عمر بسببك.

- محدش بيموت ناقص عمر، لكل أجل كتاب وكل وعد



ميعاد.

- كلام مين ده؟؟

تساءل «هشام» ليجيبه «حلمي مهران»:

- معرفش بس بسمعها كتير في مخي.

- أهو مخك ده لغز كبير، كبير جدًّا.

علق الدكتور «صلاح»، ليسخر «حلمي مهران» قائلًا:

- يعني هاعيش يا دكتور؟

- زي ما إنت قلت، لكل أجل كتاب.

- ونعم بالله.

أضافت «ماجي» ليبتسم «صلاح» قائلًا:

- بس واضح إن مخك أقوى من علمي.

- أحيانًا الحلم بيكون أقوى من العلم يا دكتور.

قالها «حلمي مهران» ليتابع الدكتور«صلاح»:

- بص أنا مابقتش فاهم منك حاجه، النهارده كان يوم طويل، هاسيبك تستريح وهاخلي رئيسة التمريض تتابعك، وأنا بايت النهارده في المستشفى ماتخافش.

- هه، النهارده بس.

علق «حلمي مهران» ليظهر الضيق على «صلاح» قبل أن يصرف البقية:



- يالا إنتوا كمان سيبوه يرتاح.

يتحرك «هشام» بشيءٍ من الاعتراض، فلقد كان يريد قص ما علم بخصوص «رياض» و«سما»:

- يعني مش هانحكيلك؟

- خلاص يا «هشام»، خليه يستريح بقى.

أضافت «ماجي» قبل أن يفاجئهم «حلمي مهران»:

- ماتخافوش أنا عارف اللي هاتحكوه.

***

من غرفته ظل «تيم» يحاور «حنان» في ندم وأسف:

- أنا عارف إني غلطت كتير يا «حنان»، بس صدقيني ده كان غصب عني، وفعلًا بحسن نيه.

- عارفه، وأنا كمان آسفه يا «تيم».

قالتها «حنان» لتفاجئ «تيم» الذي اندهش متسائلًا:

- آسفه على إيه؟!

- آسفه إني محترمتش مشاعرك.

اقترب «تيم» فرحًا:

- هو أنا عيان ولا بيتهيألي؟!

ضحكت «حنان»:



- لأ، بس ماتفهمنيش غلط، أنا عايزه أرجع الشغل تاني، بس عايزه مساحتي.

- إعتبريه حصل.

- ومش عايزه تدخل في شغلي!

- بس أنا مديرك يا «حنان»!!

- مديري ماينشرش حاجه بإسمي بدون ما يرجعلي.

قالتها معاتبة ليحرج «تيم» معتذرًا:

- ما قلت آسف.

- يبقى اتفقنا.

- بس في حاجه.

علق «تيم».

- خير!!

- «حلمي مهران».

- ماله؟

تساءلت «حنان» متوترة:

- زيه زي غيره، ماده خصبه للإعلام ماينفعش نهملها لأى سبب شخصي.

- صدقني يا «تيم»، مفيش أي حاجه شخصيه.



***

من سيارة «هشام» ظلت «ماجي» تعاتبه على إثقاله على «حلمي مهران»:

- مش لازم تدخل «حلمي مهران» في كل حاجه كده.

- وهو ده من إمتى إن شاء الله؟!

- عشان صحته يا «هشام»، «حلمي» كان بيروح منا النهارده والدكتور «صلاح» مش مطمني، أنا الصراحه مابقتش مرتحاله.

قالتها «ماجي» مشككة في الدكتور «صلاح» لينزعج «هشام»:

- بس ماتقوليش كده، الراجل ده أفضاله عليا أنا و»حلمي» كتير، ده إحنا واخدينه مقاوله.

- معرفش بقى، ده إحساسي.

- ماتقلقيش يا «ماجي»، ماتقلقيش وأنا معاكي.

قالها وهو يمسك بيديها لتبتسم هي محرجة في تجاوب، فلقد كانت بحاجة للأمان، قبل أن تأتيها رسالة من هاتف «حلمي مهران» ذكر فيها كلمتين اثنتين كانتا كفيلتين لقلب الموازين:

«أنا محتاجك»

تغيرت ملامح «ماجي» حين قرأت الرسالة، لتسحب



يدها قائلة:

- طيب يالا وصلني البيت عشان تعبانه أوي.

***



(07)

من الجريدة وعند مكتب «سالي» ظلت «حنان» تقص عليهما ما يحدث في تردد، ليتساءل «تيم» مستفهمًا:

- أبوه ماله «حلمي مهران»؟

- ما تفهمينا يا «حنان».

كررت «سالي» لتجيب «حنان»:

- هو عمل حادثه وفي المستشفى.

- يا نهار أبيض.. وازاي محدش نشر؟!!

قالها «تيم» مندهشًا لتجيب «حنان»:

- رجالته معتمين على الخبر.

- طيب إيه؟!

تتراجع «حنان»:

- والله أنا مش عايزه أتدخل، إبعت «سالي» وخليها تتكلم معاه، واستأذنه قبل ما تنشر حاجه.

- يعني هاناخد إذنه؟!

علق «تيم» معترضًا.

- أيوه يا «تيم»، زي ما اتفقنا.

- حسبي الله ونعم الوكيل.



قالها «تيم» لتعلق «سالي» ساخرة:

- إيه ده.. إنت جيت؟ حمد لله على السلامه.

***

صف «هشام» سيارته دون تخوين لتخرج «ماجي» مبتسمة لينتظر هو حتى دخلت المنزل، بينما انتظرت هي مغادرته حتى تخرج مرة أخرى إلى سيارتها، لتقودها مسرعة عائدة إلى «حلمي مهران» الذي استدعاها لتلبي هي النداء دون تفكير، لتصل «ماجي» إلى المستشفى في دقائق معدودة، لتصف سيارتها وتدخل بطريقة مريبة متسللة بمهارتها متلاعبة بالممرضين حتى وصلت إلى غرفة «حلمي مهران» لتجدها خالية. شعرت «ماجي» بالضيق مندهشة، قبل أن تلاحظ النافذة المفتوحة، فتوجهت إليها بفضول كعادتها لتجده جالسًا على التشكيلات المعمارية الخارجية، غير المهيأة للاستعمال، ليجلس «حلمي مهران» عليها دون خوف.

- إنت مابتخافش؟!

تساءلت «ماجي»، ليجيبها «حلمي مهران» شاردًا:

- أخاف من إيه؟ ما قلنا محدش بيموت ناقص عمر.

خرجت «ماجي» لتجلس بجانبه، ليتوتر هو مبديًا القلق عليها، لتطمئنه:

- ماتخافش عليا، إنت نسيت ولّا إيه؟ أنا استنيت حكم



الإعدام سنه، لو إنت مت مره يا «حلمي»، فأنا مت ألف مره.

ابتسم «حلمي مهران» مندهشًا لجرأتها:

- إنتي فعلًا طول عمرك مختلفه يا «ماجي».

- وإنت كمان يا «حلمي» مختلف.

- هاتساعديني؟

- من غير تفكير.

- هاتصدقيني؟

- من غير شك.

- الشك بيقتل.

قالها «حلمي مهران» متذكرًا قضيته السابقة لتؤكد هي:

- عرفنا القضيه اللي فاتت، وندمت على شكي فيك.

- يبقى اتفقنا.

قالها ووقف على هذا الشد المعماري الخارجي لتبتسم هي وتقف إلى جواره دون خوف هي الأخرى.

- اتفقنا.

***

من صباح اليوم التالي استيقظ الدكتور «صلاح» من غرفته بالقبو، بعدما نام يقرأ روايته المفضلة التي تقص



حكاية الفرعون وعبوره حواجز الزمن! قبل أن يتركها ويتجه إلى حمام مجاور له، ليستفيق ويغير ملابسه، ليصعد إلى أعلى متابعًا يومه، بادئًا بـ«حلمي مهران» بالطبع، ليقصد غرفته التي يدخلها دون استئذان كعادته مناديًا:

- «حلمي» صباح الخير.

لم يسمع الدكتور «صلاح» أي رد، فتوجه إلى الحمام ليطرقه، قبل أن يجد الباب مفتوحًا، فدخل ليجده خاليًا، فظهر عليه التوتر وأسرع إلى الخارج.

***

من غرفته سمع «سامر» طرقًا شديدًا على الباب، أيقظه من غفوةٍ غفاها بعد ليلة صعبة لم يذق فيها طعمًا للنوم، ليزداد صوت الطرق صخبًا، مع جلبة الطارق الذي بدا وكأنه يزمجر تبرمًا من بطء استجابة!! فنهض غاضبًا هو الآخر، لينتعل نعله، ثم لبس معطفًا شتويًّا يحميه من برودة هذا الجو القارس، ليَدلِفَ إلى الصالة، ومنها إلى الباب فيفتحه ليجد المكان خاليًا!! فازدادت دهشته بُرهةً، فأغلق الباب ثم عاد أدراجه إلى غرفته ليحاول استكمال نومه، وهو ينظر إلى ساعة يده، فلقد كانت الوقت لا يزال مبكرًا!

لحظات غفا فيها «سامر» قبل أن يسمع صوت طرق الباب يعود مرة أخرى وإن كان أكثر شدة هذه المرة، فتزايد قلقه، وتوجَّس خيفةً، حالما عاد ليسأل عن الطارق، مترسًا خلف بابه دون أن يفتحه، غير أنَّ ذلك



القادم لم يجب! فتراجع إلى الخلف، إلا أن استمرار الطارق أخافه مشعلًا جذوة الرعب في قلبه الذي أخذ يمده بجرعات الأدرينالين المتسارعة مع دقاته! ليستجمع شيئًا من قواه المبعثرة، ويفتح بابه مسرعًا ومُجَدَّدًا وجد المكان خاليًا للمرة الثانية، فقرَّر الخروج إلى البسطة غير بعيد عن عتبة الباب لينظر يمينًا ويسارًا دونما جدوى؛ إذ لم يكن هناك إنسيّ بالفعل! هيمن عليه خوفه من جديد فالتف مستديرًا في رهبةٍ، ليجد أمه «نادية» واقفة داخل منزله تنظر إليه في تحدٍّ، بصعوبةٍ. بلع ما تبقى في حلقه من ريقٍ وهو يدنو ليدخل مذهولًا، حتى عبر الباب الذي أغلق نفسه بنفسه باندفاعة قوية مصدرًا صوتًا مُرَوِّعًا، فالتفت إليه يتفقده مندهشًا قبل أن يعود إلى الداخل ليجد أمه قد اختفت، ولج بضع خطوات أخرى وهو يناديها:

- ماماااا!

- نعم.

بهدوءٍ، أجابته من جانبه فجأة، ليفزع وهو يتساءل:

- إنتي خرجتي إزاي؟!

- ده اللي همك؟! مش همك أبوك اللي اتقتل قدام عيني؟!

نظر «سامر» إلى من ظنها أمه، نظرة قصيرة، ثم أطرق أرضًا وهو يجيبها بسؤالٍ:



- هو اتقتل إزاي؟!

- مرات عمك «سما».

- «سما»!! بس ليه؟!

قالها «سامر» متسائلًا، بينما كانت «سما» في تلك اللحظة تبحث عن «نادية» في عنبر ٦ فلم يكن هناك إلا آثار جلوسها على السرير!!

- «سما» عارفه قيمة البيت.

قالتها الآن من ظنها «سامر» أمه قبل أن نتابع من منزله:

- «سما» عارفه اللي إحنا مكناش نعرفه.

- البيت ماله؟!

تساءل «سامر» لتجيب:

- دوّر يا «سامر»... دور هاتعرف.

- إخوات ملك كانوا بيدوّرا تحت!

- احفر يا «سامر»...

- كنز؟!

قالها «سامر» متسائلًا، لتجيبه مغوية إياه إلى طريقها:

- كنوز الدنيا كلها!!

ابتسم «سامر» طامعًا في الدنيا بعدما أغوته قبل أن تضيف محذرة:



- بس خلي بالك، مفيش كنز ملوش «حراس».

قالتها وهي تنظر عبر النافذة إلى أسفل حيث كان «سليمان» الذي يطقطق بعصاه أرضًا بقوة مصدرًا صوتًا جللًا يظهر صداه جليًّا في الأرجاء!

ليقترب «سامر» إلى النافذة حيث كانت شاردة، ليجد المكان بالطبع خاليًا من أمام نظره، فيلتفت إليها وإذ بها قد اختفت، غير منتبهٍ إلى «أطياف» التي خرجت من منزله للتو مبتسمة بعدما جسدت الدور باحترافية كعادتها، بينما ظل «سامر» يبحث عن أمه!!

- ماما!!!

اندهش «سامر» يبحث عن «نادية» حال «سما» الآن التي جن جنونها من داخل عنبر ٦، حتى يئست وخرجت من بابه، قبل أن تصطدم بمن ظنتها «نادية» والتي قد عادت للتو، لتتساءل في برود:

- إيه شوفتي عفريت؟!

قالتها ثم دخلت، بينما ظلت «سما» قائمةً للحظات قبل أن تعود إليها متسائلة:

- إنتي ليه قولتي إني قتلت «رياض»؟

- عشان قتلتيه، زي ما قتلتي كل اللي حواليكي يا «سما».

بثقة قالتها لتزيد من حيرة «سما» أو ربما ذكَّرتها لتقول



مندهشة:

- أنا؟!!

- أيوه إنتي يا «سما»، لحستِي دماغنا بالأدوية اللي كنتي بتحطيها لكل واحد فينا في اللقمه، فاكره يا «سما» ولَّا ناسيه؟

قالتها لتتذكر «سما» لتوها لقطات كثيرة كانت تعد فيها الطعام والشراب لكل منهم بالفعل، خاصة الفتى «فريد» الذي كانت تصر على تجهيز وجباته بالفعل، لتحاول تذكر ما كانت تضعه في الطعام دون جدوى.

- إنتي بتقولي إيه يا مجنونه انتي!!

ضحكت السيدة ضحكة مخيفة وقد بدأت تكشف الحقائق:

- مجنونه؟! أنا برضه؟!

- تقصدي إيه؟!

تساءلت «سما» ثم تابعت:

- أنا مش مجنونه!

- ماتضحكيش على نفسك يا «سما»، إنتي عارفة حقيقتك، متهربيش منها.

- وهي إيه حقيقتي؟!

تساءلت «سما» التي طالما أنكرت مرضها النفسي!!



***

من مكتبه كان «حلمي مهران» مرهقًا مستمتعًا بمكعب «روبيك» الذي افتقده خلال عزلته بالمستشفى، بينما كانت «ماجي» إلى جواره، ليدخل عليهما الساعي الجديد «حجاب» بقهوة مرحبًا بعودته:

- القهوه يا غالي، وألف حمد لله على السلامه.

- الله يسلمك يا حاج «حجاب»، معلش ملحقتنيش بقى.

- الحمد لله إنك رجعت بالسلامه.

غادر «حجاب» بينما ظل «حلمي مهران» يمسك برأسه لتشعر «ماجي» بتعبه:

- مكنش المفروض أخرجك من المستشفى، إنت تعبان.

- لأ أنا بس عايز الدوا بتاعي.

قالها والألم يزداد، لتتساءل هي:

- هو فين؟

- جوا.

قالها شارحًا لها مكان دوائه، لتدخل «ماجي» للبحث عنه، ويلاحظها «حجاب» فيتساءل:

- أساعدك في حاجه يا بنتي؟

- لأ يا حاج «حجاب»، أنا بجيب حاجه لـ«حلمي»



وخارجه علطول.

قالتها وتابعت بحثها، لتجد هذا المسكن الذي عرفت ما هو، لتعود إلى «حلمي مهران» معاتبة:

- ده مورفين يا «حلمي»!!

ترك «حلمي مهران» مكعب روبيك الذي أنهاه للتو ثم وقف.

- ده مسكن يا «ماجي».

- لأ يا «حلمي» دي مخدرات!!

- لو حسيتي بالألم اللي فيا مش بعيد فعلًا تحتاجي مخدرات.

قالها وهو يقترب منها تعبًا.

- مش كنتي عايزه تعرفي أسراري؟ أديني استأمنتك على واحد.

ممسكًا بالدواء في يدها قالها، لتتركه إليه مستسلمة.

***

من داخل شقة «ملك» كان «سامر» يجلس بالصالون أمام الإخوة الثلاث يسألهم في تحدٍّ حادٍ:

- أنا شوفتكوا وانتوا بتدوروا تحت، وشفت الجهاز اللي كان معاكوا، ده بيكشف عن المعادن اللي تحت الأرض!



لم يجيبوه، فتابع:

- أنا عارف إن في كنز مدفون هنا، وجحا أولى بلحم طوره!

للمرَّة الثانية، لم يجبه أحد، فأخذته حالةٌ من العصبيَّة محتدًّا:

- ما هو فيها يا هاخفيها، ومحدش منكوا هايحفر شبر واحد تحت الأرض.

- إحنا كنا بنلم حاجتنا وماشيين.

قالها «عبد الوارث» فلقد كان قائدهم أطولهم طولًا وأكبرهم حجمًا.

- ماشيين؟! والكنز؟!

- إحنا دورنا هنا خلص، وزي ما انت قلت جحا أولى بلحم طوره.

- أومال جيتوا ليه؟!

- إحنا كنا جايين نجمع إجابات ولاقيناها.

- إجابات عن إيه؟

- مايخصكش.

- خلاص هاكمل وهاحفر لوحدي، أنا مهندس تربه، مش هاحتاج مساعدتكوا، والتركه تبقى ليا لوحدي.



- قلنالك مايهمناش اللي هاتلاقيه، بس لو عايز تدور، دور بعد الأربعين، بعد ما دم ابن «الألفي» ما يبرد.

قالها «عبد الوارث» قاصدًا الفتى «فريد» ابن أختهم «ملك»، ليتساءل «سامر»:

- الأربعين؟!

***

من عنبر ٦ تغير الحال، حيث صارت «سما» في مكان الدفاع، بينما تسأل من ظنوها «نادية» في تحدٍّ:

- إفتكرتي؟!

لم تجب «سما» لتكمل «نادية» مستمتعة:

- كملي اللي بدأتيه يا «سما»، كملي قبل ما الأربعين ما يخلص، وتحتاجي دم جديد.

مندهشة سألتها «سما»:

- دم جديد؟!

- الدم اللي كانت «ملك» بتسقطك عشانه يا «سما»، لو مش مصدقاني، إسألي أمك، واعرفي مين أبوكي، يمكن ساعتها تفهمي «ملك» كانت بتسقطك ليه!

كانت «سما» بالفعل تجهض كثيرًا دونما معرفة السبب، وكان زوجها يظن أن السبب شيطاني، من فعل «ملك» وشعوذتها، إلا أنه كان يجهل دافعها!!



لتتابع السيدة الآن كشف الحقائق:

- «ملك» اللي كنا فاكرينها بس سلفتك!

***

من منزل «ملك» ظل «سامر» يسخر من حديث «الألفية»:

- إيه كلام الجهل ده! أنا مش مصدق إن في ناس بتفكر كده! طب أمي وكنت بقول عليها مش متعلمه، لكن شباب زيكوا يكرر الكلام الفاضي ده؟! حقيقي أنا فرحان إني سافرت، عشان عمركوا ما هاتتقدموا هنا ولو خطوه، هاتفضلوا دايمًا تحت الأرض.

ينفعل «عبد الوارث» من بين أخويه متسائلًا:

- طب رجعت ليه يا «سامر»؟! رجعت «مصر» ليه؟!

لم يجبه، ولم ينبس ببنت شَفَة، فاستطرد «عبد الوارث» مُكمِلًا:

- بتدور على تاريخنا ليه تحت الأرض طالما إنت عايش هناك؟! رجعت تحفر في أرضنا ليه؟! سيب خيرنا لينا وامشي!

بتحدٍّ ردَّ عليه «سامر» مُقطِّبًا جبينه حادًّا نظره:

هامشي بس بعد ما أحفر، هاحفر بعد ما ألاقي اللي كنتوا بتدوروا عليه،



وهلاقي اللي يساعدني.

- بعد الأربعين.

قالها «عبد الوارث» ثم كررها:

- بعد الأربعين يا «سامر».

بدت على «سامر» السخرية منه، وقهقه قهقهة متعاقبة:

- هههههه.. أربعين مين فيهم بالظبط؟! ما كل اللي في البيت ماتوا!

- أربعين الألفيه يا «سامر»، «فريد» ابن الألفي دمه لسه مابردش.

ساخرًا وهو يتجه للخروج:

- هايعملي إيه يعني؟! ما مات وشبع موت، ولَّا فكرك روحه هاتطلعلي؟! هههه، جهله ومتخلفين صحيح!!

قالها ثم خرج، بينما مكث «عبد الوارث» ينظر إلى أخويه قائلًا:

- إحنا لازم نمشي من هنا.. مابقاش في وجودنا أمان.

***

من داخل غرفة «حلمي مهران» التي تركها، كان «هشام» أمام «صلاح» سائلًا إيَّاه:

- يعني إيه مش لاقينه يا دكتور؟



- صاحبك مجنون، ولو حصله حاجه أنا مش مسؤول.

ظل «هشام» مندهشًا وهو ينظر إلى النافذة الخارجية، يتساءل أين قد يكون ليتصل بـ«ماجي» التي تجيبه من مكتب «حلمي مهران» مطمئنة:

- ماتخافش «حلمي» قدامي.

من ممر بالمستشفى يبتعد «هشام» عن «صلاح» وهو يقول:

- دكتور «صلاح» شايط، وبعدين لو عايزين تعملوا مصيبه، ماقولتوليش ليه؟

تساءل «هشام» غاضبًا من تجاهلهما إياه، لتوضح «ماجي»:

- عشان مكنتش هاترضى يا «هشام».

- أنا!!!!

مستنكرًا علق، لتتابع «ماجي»:

- طيب المهم دلوقتي «حلمي» عايزك في حاجه ضروري.

قالتها معطية الهاتف إلى «حلمي مهران» الذي يقول:

- أيوه يا «هشام»، إسمعني كويس في اللي هاقوله.

سمع «هشام» مغزى «حلمي مهران» مبتسمًا، لينهي الاتصال قبل أن يتوجه إلى «صلاح».



- ماتخافش يا دكتور، إن شاء الله هاطمنك علطول على «حلمي»، المهم كان عندي كذا سؤال.

أخذ «هشام» انتباه «صلاح» مستمعًا إلى شكوك «حلمي مهران»، ليتوتر «صلاح» الذي بدأ يقتنع، بينما كرر «هشام» سؤاله:

- يعني لما «حلمي مهران» بلغك بحالة «أكرم» كانت «سما» فعلًا في المستشفى؟

- ما قولتلك أيوه يا «هشام»، بس إحنا لما «حلمي» بلغنا، جرينا على الحاله فورًا، وماهتمناش بمدام «سما» اللي كانت واقفه جمب جوزها.

- يعني مش ممكن تكون هي اللي حاولت تقتله؟

سكت الدكتور «صلاح» ليتحقق «هشام» من شكوكه ويخرج مطلًّا على جسد «أكرم» بالعناية المركزة يصارع من أجل البقاء.

***



(08)

من خارج المصحة صف المقدم «هشام» سيارته، ليترجل إلى الداخل، ليكمل تحقيقه متابعًا لشكوك «حلمي مهران»، وبدأ بـ«نادية» من داخل عنبر ٦، حيث بدأ استجوابها:

- يعني حضرتك متأكده إنها كانت «سما»؟

- طبعًا متأكده، وهي اللي اتبلت عليًّا وبتقول عليا مجنونه، عشان أفضل هنا آخد أدويتها، عشان أموت نفسي زيهم!

بحرقة ومنطقية قالتها، ثم دخلت في نوبة من تجعل الحليم حيران! فلا يكاد يميّز أصدقًا ما تدعيه أم تكون ممثّلة من طرازٍ فريد!!

- أدوية إيه؟!

- دوَّر يا بيه، دوَّر وهاتعرف، بس خرجني من هنا.. أرجوك، خرجني قبل فوات الأوان.

ربت «هشام» على كتفيها، بينما صفنت هي شاردةً، ترمق «سما» من بعيد، ففطن لها حالما اتحد بصره مع ما ترمي إليه، ليهرع إلى «سما»، فاقدًا اهتمامه بـ «نادية»، وانصرف عنها، غير منتبهٍ أن من كان يجلس معها هي «أطياف» تبتسم من مكان «نادية» التي لم يعد لها وجود منذ الكثير!!



من الخارج هرعت «سما» هروبًا من «هشام» ليحاول متابعتها قبل أن تتلاشى خارج المصحة، فأخرج «هشام» هاتفه متصلًا بمساعده الذي أجابه من مكتبه:

- بقولك إيه، تقرير الطب الشرعي بتاع «رياض» طلع ولّا لسه؟

- طلع يا باشتنا، بس لسه في المشرحه.

- فين؟!

- بقولك في المشرحه يا باشتنا.

- المشرحه!! طب أنا هاروح أستلمه بنفسي، مفيش وقت.

- أستغفر الله العظيم، طب أنا هاروح مشوار وبعدين هاطلع على المشرحه أستلمه بنفسي، مفيش وقت.

قالها «هشام» مُنهي الاتصال، ثمَّ اتصل بـ»حلمي مهران» الذي أجابه من مكتبه:

- خلاص يا «حلمي» عملت كل حاجه.

- ناقص مشوار خالك!

- مش فاهم! إنت عايز خالي في إيه؟! ماتخليني أروح أشوف باقي شغلي.

- خلاص هاروح أنا و»ماجي»».

سمع «هشام» اسمها فابتسم قائلًا:



- لأ خلاص، أنا نص ساعه وجاي أخدكوا، إجهزوا.

قالها وأنهى «هشام» الاتصال، وتوجه إلى سيارته غير منتبهٍ لـ «سليمان» المبتسم وهو يراقبه!

وصل «هشام» إلى «حلمي مهران» و»ماجي» ليذهب ثلاثتهم إلى خال الأول، الذي ظل مِن سيارته يتساءل:

- أنا معرفش إنت محتاج خالي «فتحي» في إيه، بس عمومًا إنتوا الاتنين ملبوسين زي بعض.

ساخرًا قالها «هشام» قبل أن يصل بسيارته ليصفها ويترجل ثلاثتهم يتقدمهم «هشام» داخل العقار الذي ابتلعهم وصولًا إلى شقة الخال «فتحي» المفتوح بابها لتستقبلهم، ويقول «فتحي» من الداخل:

- تعالى يا «هشام» وهات صحابك واقفل الباب وراك.

دخل «هشام» ومن بعده «حلمي مهران» و»ماجي» بينما كان «فتحي» جالسًا في البلكون، ليتساءل»هشام» بحيرة شديدة:

- إنت عرفتنا ازاي يا خال؟!

- هاكون عرفت ازاي يعني؟ مش واقف شايفكوا في البلكونه؟

- آه صحيح.

قالها «هشام» مطمئنًا قبل أن يضيف:



- طب أنا معايا..

- «حلمي مهران» عارف، خليه يتفضل.

مقاطعًا علق الخال «فتحي» ليزداد قلق «هشام» قائلًا:

- لأ ماتأخذنيش يا خال، كده إنت واقف في الـcnn مش في البلكونه.

.....

من المستشفى كانت «سالي» قد وصلت، حاصلة على خفي حنين، حين علمت بخروج «حلمي مهران»، لتتصل في استياء بصديقتها:

- أيوه يا «حنان» «حلمي مهران» تقريبًا خرج من المستشفى.

- خرج ازاي بس يا بنتي؟ ده لسه تعبان.

- والله تقريبًا يا هرب يا أنا اللي نحس، حسبي الله ونعم الوكيل!!

***

من منزل «فتحي» دخلت «ماجي» مع «هشام» ليعدا الشاي، بينما جلس «حلمي مهران» في البلكون مع الخال «فتحي» ليقص عليه كل حكايته:

- إنت جايلي أنا ليه بالذات يا «حلمي»؟

تساءل الخال «فتحي» ليجيب «حلمي مهران» بحيرةٍ بالغةٍ:



- أمال أروح لمين؟!

- روح للي ندهك.

- أكرم؟!

- الحي أبقى من الميت.

قالها «فتحي».

«حلمي مهران» بشيءٍ من القلق والتوتر:

- أروح بيت «الجارحية»؟!

- روح للي ندهك يا «حلمي».

- ساعدني أرجوك، أنا خلاص مابقتش عارف أنا عايش ولَّا ميت! مش فاهم حاجه!

- يبقى لازم تفهم عشان ترتاح.

قالها «فتحي» راميًا شيئًا داخل عقل «حلمي مهران».

- أفهم إيه؟!

تساءل «حلمي مهران» بينما كان «هشام» الآن في عالم آخر من على بعد خطوات:

- هاطبخلك شاي بقى يا «ماجي» هتاكلي صوابعك وراه.

- والله إنت رايق يا «هشام».



- وماروقش ليه؟

- أنا قلقانه من اللي بيحصل، ومش عايزه أصدق في الحاجات دي.

- بصي صدقي في اللي عايزه تصدقي فيه، الدنيا كبيره ومش لازم تتحمل كل حاجه.

- أنت اتغيرت أوي يا «هشام».

- إسمها كبرت.

بنضج قالها لتسأله:

- إنت بتساعد «حلمي» ليه؟

- إنتي بتساعديه ليه؟ عشان أنقذ حياتك.

- يمكن... معرفش.

- لأ.

اعترض «هشام» مصححًا لها:

- إنتي بتساعدي «هشام» عشان الرحله ممتعه، «حلمي مهران» اختار يروح مكان بعيد وياخد الطريق مشي، عشان يستمتع بكل خطوه في الطريق، وانتي مستمتعه، وأنا كمان مستمتع مقدرش أنكر.

- بس ده طريقه هو، هانمشي معاه لغاية فين؟

اقترب «هشام» موضحًا:



- لغاية محطتنا.

- وهي فين؟

- لما كل واحد يختار طريق تاني، يمكن إحنا ظروفنا سامحه نروح معاه مشواره، محدش منا عنده التزام، محدش منا لسه لقي مشروع ليه يخليه يمشي.

أدركت «ماجي» الخلاصة معلقة:

- يعني كلنا دلوقتي عايشين في حلم «حلمي مهران» لغاية ما يبقالنا حلم؟

- بالظبط كده.

- طب مش ممكن ننسى نفسنا في حلمه ونفوق نلاقي مفيش وقت لينا؟!

قالتها ليسند «هشام» على الحائط ليحتسي الشاي في شرود، بينما كان «فتحي» يتابع حديثه مع «حلمي مهران» من البلكون قائلًا:

- إفهم اللي يريحك يا «حلمي»، مفيش قواعد.

- يعني أنا مش مجنون؟

اقترب «فتحي» من «حلمي مهران» هامسًا:

- الحاجه الوحيده اللي أنا متأكد منها، إنك أعقل واحد فينا يا «حلمي»

- أنا؟!



- ربنا يا «حلمي» إداك هبه، أحسن استغلالها.

- أنا مش فاهمك بس حاسك.

- عشان بتشوف يا «حلمي».

- عارف يا «حلمي» إن البني آدم بيستخدم نسبة بسيطة من إمكانيات عقله؟ تخيل لو ربنا أراد يفتح لحد فينا باب زياده في مخه، ممكن يعمل إيه؟

شرد «حلمي مهران» لدقائق معدودة قبل أن يستكشف خبايا عقله ليبتسم إلى الخال «فتحي» شاكره، ثم دخل إلى صديقيه مسرعًا:

- يالا بينا.

- على فين؟

تساءلت «ماجي» ليتابع «حلمي مهران»:

- المشرحه، مش إنت كنت رايح هناك؟

قالها «حلمي مهران» ناظراً إلى «هشام» الذي تردد:

- أيوه بس..

- إسمع كلام صاحبك يا «هشام» وخلي بالك منه.

مقاطعًا قالها الخال «فتحي»، ثم أردف متابعًا:

- في أصحاب مايتكروش يا «هشام»، و«حلمي مهران» منهم.



ابتسم «هشام» إلى خاله قبل أن ينصرف ثلاثتهم، ليتابعهم الخال «فتحي» من البلكون ملوحًا لإياهم بعدما ركبوا السيارة، قبل أن يلاحظ هذا الحارس الواقف «سليمان» بجانب «أطياف» يرمقان «فتحي» في غضب.

***

إلى المشرحة وصل ثلاثتهم، فصف «هشام» سيارته في أجواء مقلقة، إذ المكان قاسٍ؛ فبالأعلى سياج مكهرب، وبالأسفل جند من الحراسة والتأمين ناهيك عمَّا يحيط بالمكان من دوريات ورجال البحث والتحقيق، ترجلوا صوب الواجهة الجاثمة أعلى تلك البوابة العريضة، والتي منها ولجوا إلى المدخل بعدما كشف «هشام» عن هويته.

من الداخل، عبروا منطقة الاستعلامات، متوجهين بعدها إلى رواق داخلي طويل يفصل بينهم وبين الثلاجة، فمسح «حلمي مهران» الرواق بعينيه فلفت نظره ذلك الشخص الذي كان يقف في آخر الرواق، لم يستطع «حلمي مهران» تصديق عينيه، كذلك «هشام» و«ماجي» اللذان تبعاه، حيث كانت (هي) هناك، تشبه «سما» تمامًا، لم يستطع «حلمي مهران» التأكد مما يراه، فبدأ يهرول ناحيتها، من بعيد كانت (هي) تسير بسرعة هاربة من عيون «حلمي مهران» متجهةً إلى آخر الرواق الذي لا ينتهي، كانت ترتدي هذا الوشاح الأحمر المنقوش، حاول «حلمي مهران» جاهدًا أن يسرع في خطاه، غير أن المسافة بينه وبينها كانت تزداد مع كل خطوة، إلى أن عبرت



(هي) أحد الأبواب، فأسرع «حلمي مهران» أكثر حتى لا يفقد أثرها، ليجد نفسه في ممر آخر وإن كان أقصر كثيرًا، بينما كان هناك باب من ضلفتين في مقابله، وآخر في منتصف الممر من الناحية الأخرى، تقدم «حلمي مهران» ببطء بعدها ليغلق الباب خلفه تلقائيًّا، ليلتفت إلى صورته في انعكاس زجاجه في توتر، متسائلًا أين هما صديقاه اللذان يتبعانه منذ لحظات! قبل أن يعاود النظر أمامه، ليلاحظ شيئًا ما موضوعًا أرضًا، ليقترب منه في حذر، ليجده «حلمي مهران» هذا الوشاح الأحمر، وسط نظرات الشك والفضول اقترب منه «حلمي مهران» أكثر ليتفقده، سامعًا دقات قلبه المضطرب، وبينما هو يقترب أكثر، فُتح من خلفه الباب و»هشام» بجانب «ماجي».

- في إيه يا «حلمي»؟! إنت داخلية، على مسؤوليتي، مش كده.

تجاهله «حلمي مهران» والتفت ليجد هذا الوشاح الأحمر قد اختفى، ليندهش «حلمي مهران» لحظة، ثم تابع في الردهة ليخرج منها معطيًا، قبل أن تعبر (هي) لتوها من خلفه، ليلتف «حلمي مهران» لحظة بعد فوات الأوان، فلا يجد آدميًّا.

ليعود إلى الداخل خلف صديقيه غير منتبهٍ إلى هذا الوشاح الأحمر الذي يتحرك أرضًا بعدما خطفه من نسيه للتو!!



***

من أمام منزل «الجارحي» دلفت «سما» مسرعة إلى داخله في الوقت الذي خرج فيه ثلاثي أولاد «الألفي» من المنزل حاملين حقائبهم على ظهورهم، قبل أن يتوقفوا فور وصولها، خاصة «عبد الوارث» الذي طفق يمعن فيها النظر وفي تفاصيلها مُدقِّقًا!! وكأن هناك ما يشعر به، ثمَّ وجَّه نظره إلى أخيه «عبد البصير» والذي لمح شيئًا ما للتوّ، عندها تأكد «عبد الوارث» من حدسه، ليقترب منها أكثر، ويخرج من جيبه كارته الشخصي، ليعطيه إياها قائلًا:

- إحنا ماشيين، لو احتجتي أي حاجه أرجوكي كلمينا، مش هانتأخر عليكي.

أومأت «سما» برأسها مبديةً الموافقة دون أن تجيب، فأردف مضيفًا:

- خلي بالك من نفسك.

قالها وتحرك لترتاح مسرعة إلى الداخل حالما غادروا، لتصعد إلى شقتها، تدخلها منزعجة ممسكة برأسها، قبل أن تتوقف برهةً لدى طاولة السفرة، تنظر إلى هذا الكتاب الراقد على المنضدة وقد فُتح توًّا، ليناديها بصوت «سليمان»:

- لِمَ العناد؟! فلقد قطعنا شوطًا كبيرًا سويًا، فأنتِ مثلها أو أفضل، من دمها أو أقرب، هلمِّي بنا، هيًّا فلنتابع طريقنا



قبل فوات الأوان، وإلا سأزيد من جحيمك على الأرض.

بصوته سمعته قبل أن تحتد نبرة صوته أكثر توعدًّا:

- فلا تختبري صبري، فهذه ليست من صفاتي.. هههههه.

مهددًا قالها، متزامنًا مع قهقهة ضحكاته الشيطانية المخيفة، ليسري الرعب في أعماقها يكاد يقطع أوصالها، فقررت الفرار تاركةً كتابها ذلك لتعود إلى الداخل يرتجف فؤادها!!

***

بإزَاءِ تلك الجثة المغطاة لـ»رياض» كان طبيب المشرحة يجيب على أسئلة المقدم «هشام» الذي حاول معرفة تلك المادة التي اكتشفوها بجثة «رياض»:

- وهي إيه الماده دي يا دكتور؟!

- الماده دي ممكن تكون علاج لبعض حالات الهوس.

تدخل «ماجي» وهي تقرأ التقرير:

- الهوس؟!

تساءل «هشام»، ليتابع الطبيب الشرعي:

- بالظبط كده زي ما الدكتوره قالت.

- ما هو الطب الشرعي دراستي!

- ما واضح يا فندم.

- بس مش واضح يا دكتور في التقرير الجرعات؟



قالتها «ماجي» متسائلة:

- أنا طبعًا معنديش تاريخ المجني عليه الطبي، ممكن يكون كان بياخده علاج.

- يعني الماده اللي في جسمه دي، مش هي اللي قتلته؟!

- لأ مش هي!

- بالظبط يا سيادة المقدم.

علق الطبيب متفقًا مع «حلمي مهران» ثم تابع حديثه إلى «هشام» مسترسلًا:

- زي ما وضحت لحضرتك، سبب الوفاه نفسه، كان من تليف الجمجمه من أثر وقعته من البلكونه، أنا دلوقتي بجاوبك على سؤال الأستاذ «حلمي»، إذا كان فيه في جسمه أثر لمواد مخدره أو لأ.

- طيب الماده دي لو كان بياخدها من غير علاج، ممكن تعمل إيه؟

تساءل «هشام»، لتتدخل «ماجي»:

- الماده دي بتشتغل على المخ، بتتكتب لمرضى الشيزوفرينيا.

وافقها الطبيب مكملًا:

- وفي الحالات المتأخره منها كمان، فلو حد اتعاطاها بدون توصيف، ممكن تعمل هلوسه أو تليف المخ فعلًا.



- طيب وهو ده حصل؟!

تابع «هشام» تساؤلاته ليجيب الرجل:

- مقدرش أعرف أكتر من كده، لأن الجزء ده كان متدمر من الحادثه.

- يعني ممكن يكون حصل؟

- ممكن.

شك الطبيب، بينما تدخل «حلمي مهران» مؤكدًا:

- هو ده اللي حصل يا «هشام».

وثق «هشام» بصديقه فتوجه بشكره للطبيب:

- طيب خلاص يا دكتور، أنا حقيقي متشكر على مساعدتك.

قالها «هشام» وهو يخطف نظرة إلى جثة «رياض» المتعفنة ليتابع:

- الله يكون في عونكوا بجد.

قبل أن يشير إلى الجسد المغطى.

- ولا يهمك يا فندم، إحنا بنشوف أكتر من كده بكتير، دي كده الجثة مكنتش اتحللت.

- سبحان الله! وهي بتاخد أد إيه عشان تتحلل يا دكتور؟!

- والله زي ما أجدادنا قالوا والعلم أكد كلامهم، أربعين



يوم.. أربعين يوم بالتمام والكمال.

***



(09)

اقتربت أربعون الفتى «فريد»، فهل ستستطيع دماؤه فتح البوابات؟! أم أنها ستظل مغلقة تحجب الأزمان؟! هذا ما ظل «سليمان» يناقشه من جانب «أطياف» من أمام منزل «الجارحي» حين قال:

- جهزي نفسك يا «أطياف» الأربعين قرب.

- فكرك المره دي هايحصل حاجه؟

- طول ما الدم طاهر يبقى الأمل موجود.

- بس «فريد» مكنش زُوهري.

بالفعل لم يكن «فريد» زوهريًّا، هؤلاء بشر مختلفون عن البقية، فهم طاهرو الدماء، معروفون باللسان المفلوق، يختلف بعضهم في أعينهم، فلهم بريق خاص، مع تمزق واضح في الجفن، هؤلاء فقط يمتلكون تلك الدماء المختلفة، يسعى خلفهم كل من يؤمن بالماورائيات.

- بس من دمهم.. من دم «الألفية».

- ما هو مات ودمه مافتحش البوابات يا «سليمان».

- عشان مش «فريد» اللي كان عليه العين يا «أطياف»، «فريد» كان زي «ملك»، نداهة للأهم، والأهم وصلوا! وقريب أوي دمهم الزوهري هايروي الأرض، وساعتها بس هافتح البوابات للي ليه النصيب، وهاخدمه لآخر



الزمان!

- حتى لو مكنش من أهلنا؟!

- ما هو اللي يرضى باللي مكتوبلنا، هايبقى زيه زينا.

- لكل أجل كتاب يا «أطياف»، لكل أجل كتاب ولكل وعد «ميعاد».

قالها وهو يرفع صوته، ليظل صداه يتردد ويتعالى في الأرجاء!

***

من منزلها ظلت «سما» عاكفةً في غرفتها تحاول إدراك ما يحدث قبل أن يعود إلى أسماعها صوت «نادية» حينما قالت:

«فكرك «ملك» كانت بتسقطك ليه؟!»

تذكرتها «سما» للتو قبل أن تسمع هذا الصوت القادم من الغرفة المجاورة، كان الصوت لأنين الرضيع يعلو في أركان المكان، فتوقفت مندهشة وهي تهم بالخروج من غرفتها، تسير ببطء ممسكة ببطنها المتألم، لحظات من الحيرة والوُجُوم بدت على ملامحها مع تلكؤ خطواتها البسيطة الهادئة، توجهت إلى الردهة ومنها إلى الغرفة المجاورة والتي يزداد فيها صوت أنين الطفل، فلمَّا بلغتها بدت لها من الخارج مُذهِلَةً، فاندهشت أيَّما دهشة وهي ترى تلك الغرفة لأول مرة، فهي جديدة بالفعل ومن صنع خيالها كانت الغرفة



مُنارة تنبعث منها أصوات ألعاب الأطفال المهدئة للنوم، ولا سِيَّمَا تلك التي تصدر عن هذه اللعبة اللطيفة المحيطة بالسرير الموضوع فيه رضيع دون أن يظهر، ابتسمت «سما» لحظةً عند رؤيتها هذا السرير، قبل أن تعبر من أمامها فجأة (هي) مرتدية ملابس فضفاضة لم تكشف عن هويتها، متوجهة بهذا السكين إلى الرضيع، لتتوتر «سما» وتحاول الدخول مسرعةً، قبل أن يغلق الباب لتوه في وجهها، وقد باءت محاولاتها بالفشل الذريع!

- إفتحي...، ماتموتيهوش... إفتحي...

ظلت «سما» تكررها، قبل أن يعلو صوت «سليمان» يقول:

- ألم أقل لك إني أستطيع قتل عقلك؟! لِمَ العناد والطريق مرسوم إليك؟!

سمعته «سما» لتستسلم إلى شيطانها للتو، فتوجهت إلى الخارج في تحدٍّ حيث يظهر الكتّاب مفتوحًا على المنضدة، اقتربت «سما» باديًا عليها الهدوء، لتجلس أمامه؛ لتظهر (هي) أمامها للتو تبستم وتقول لها:

- ماتخافيش.

- إنتي مين؟؟!!

- تاني يا «سما»!!

***



من المصحة وصل «حلمي مهران» مع «ماجي» والمقدم «هشام» الذي سأل أحد الممرضين عن رئيس القسم، ليشير إليه الممرض إلى إحدى الغرف، ليتجهوا إليه من فورهم، بينما طلب «حلمي مهران» من «ماجي» الانتظار بالخارج، فلن تستطيع تزوير هويتها حاله:

- معلش يا «ماجي» إستني إنتي هنا.

- إشمعنى!

- ثقي فيا.

انتظرت «ماجي» بالفعل بينما هما يدخلان، ليعرّف «هشام» بنفسه، ويقوم «حلمي مهران» بادعائه بوجوده في الخدمة، ليحتفي بهما الرجل الذي هاب كليهما، ليسألاه عن «نادية» وشكوكهما بـ«سما»، لم يكن الرجل يحتاج إلى الكثير لمشاركة ما يعرفه من أسرار، بل كان يتوق شوقًا لكشفه:

- والله يا سيادة المقدم، الموضوع حساس للغايه، وأرجو إنك تتفهمه.

قالها الرجل الخمسيني، ليتدخل «هشام» بحدته:

- أنا مش فاهم ليه الحساسيه دي! ده تحقيق رسمي يا فندم، أنا مش جاي أسأل على ابن اختي!!

- ما هو حضرتك لما تعرف الإجابات بتاعت أسئلتك هاتعذرني.



- يا دكتور أنا محتاج تقرير موضح لحالة «نادية» فورًا.

طلب «هشام» إلا أن الرجل أصر على كشف الحقيقة ولكن على استحياء:

- بالنسبه لـ»نادية» مفيش مشكله، أنا هابعدها عن «سما» خالص، وهاعمل لحضرتك تقرير بنفسي.

- عظيم، ولأسف أنا لغاية دلوقتي مش قادر أوجه اتهام رسمي لـ»سما»، لأن في نظر القانون «نادية» ساقط عنها الأهليه، بس قريب هالاقي حل!

قالها المقدم «هشام» مقتنعًا بحجة «نادية» وادعاءاتها، ولقد كان يبحث عن شهادة من آخرين لتوجيه اتهامات لـ»سما»، فلم تكن «نادية» تصلح للشهادة.

- مفهوم، بس هي «سما» كمان المفروض يسقط عنها الأهليه؟!

قالها الرجل ليزيد من حيرتهما حول «سما» التي كانت في تلك اللحظة من أمام الكتاب تستكشف حقيقته بينما (هي) من أمامها:

- إنتي خيال.. صح؟

- الخيال أحيانًا بيكون أهم من الواقع!

- يعني مفيش شيطان؟!

- بالعكس، مفيش حد فيكوا ملوش شيطان، إنتوا اللي



بتصنعوا الجحيم وبتعيشوه!

قالتها (هي) في عقل «سما» الذي كان المصدر الرئيسي للكثير وكان هذا ما يقره رئيسها في المصحة للتو:

- «سما» مريضه هي كمان، وأنا اكتشفت ده مؤخرًا.

اندهش «هشام» ليسكت، بينما تابع «حلمي مهران»:

- عيانه إزاي؟

- للأسف «سما» خدعتنا كلنا وقدرت تخبي إنها كانت مريضه نفسيه في صغرها، بس أنا قدرت أكتشف ده قريب وهي اعترفتلي بنفسها قريب، وأنا حاليًا بشرف على حالتها، وكنت هابعدها عن العمل أول ما أتأكد.

- واتأكدت؟

- للأسف أيوه، «سما» مريضه بالفصام، أو الشيزوفرينيا يعني زي مابتسموها.

- شيزوفرينيا!!

كررها «حلمي مهران» مبتسمًا بعدما بدأ في ربط الخيوط بعضها ببعض.

***

من أمام الكتّاب ظلت «سما» تحدث نصفها الآخر، تحاور نفسها بنفسها، فلقد كان لكل منهما طباع وهوية، فـ«سما» تختلف كليًّا عنها (هي)، تلك الواقفة في خيالها في



صمود وتحدٍّ تقول:

- إنتي اللي خلقتيني يا «سما»، صورة طبق الأصل منك، بس أقوى، مليش حدود، أقدر أعمل كل اللي بتخافي منه، مفيش قانون يردعني، ولا بعمل حساب لبكره، معايا إنتي قويه، معايا هانقدر نوصل للكنز.

- كنز؟!

تساءلت «سما» لتجيب (هي):

- أيوه الكنز، الكنز اللي خلصتك من كل اللي حواليكي عشانه، الكنز اللي كانت «ملك» بتدور عليه، وقتلت عشانه كل اللي في بطنك، بس إنتي كنتي أذكى منها، والشاطر اللي يضحك في الآخر يا «سما»، كملي قرايه يا «سما»، أربعين «فريد» يخلص، مفيش وقت، ومفيش فرصه تانيه، إقري يا «سما»، إقري عشان نفتح الأبواب تتفتحلنا، والحراس تخدمنا، وبكره يبقى ملكنا.

فرغت (هي) من مقالها ذاك ثم اختفت، لتبتسم «سما» مستجيبة لتكمل القراءة مسترسلةً، لتتصاعد أصوات الطبول، من أمام عقار «الجارحي» يسمعها من شعر بذبذباتها، فأنصت إليها السامعون دون أن يروا عازفها!! مع ابتسامة مريبة من «سليمان» لحظة أن برز «هشام» الذي وصل توًّا بسيارته وبجانبه «حلمي مهران» و«ماجي» مندهشين مما يشعرون به!! ليصعد ثلاثتهم السلم في ترقب، حتى وصلوا شقة «سما» ليقرعوا عليها الباب، لتسكت



الطبول للتو، قبل أن تفتح بابها، وقد ظهرت عليها العقلانية الغريبة و(هي) ترتدي ذلك الوشاح الأحمر المنقوش!

- أهلًا يا سيادة المقدم، أنا كنت مستنيه حضراتكوا.

- مستنيانا؟!

بضحكة أردفت :

- أكيد، بعد اللي حصل في المصحه، أنا آسفه جدًّا كنت متوتره،

ومعرفتش جريت ليه! إتفضلوا مش هانتكلم على الباب.

دخل «هشام» مشدوهًا وكذلك «حلمي مهران» من هذا الوشاح الذي تذكره من المشرحة، ليقول «حلمي مهران» متذكّره هو الآخر:

- حلو أوي السكارف ده!

- آه، ده بتاع أمي الله يرحمها، إتفضلوا.

متوترة قالتها قبل أن تشير لهم بالدخول، فتقدمها ناحية منضدة السفرة الخالية من أي شيء، قبل أن تبتسم (هي) ابتسامة مخيفة!

***

من مكتب الشيخ البدوي ظهر «سامر» يتحدث إلى جماعتهم المندهشين، وعلى رأسهم هذا الرجل الأربعيني



الأصلع الذي يتساءل:

- إنت عايزنا نبيع الخواجه؟!

- ههه، طبعًا.

قالها «سامر» محاولًا إقناع أتباعه ومشاركتهم إياه.

- إنت عبيط؟!

- إنت اللي عبيط!

بقوة قالها «سامر» ليقف الرجل الأربعيني منفعلًا أمام اندهاش الشيخ الذي ما برح مستمعًا:

- إنت جاي تهزأني وسط رجالتي!!

- لأ، أنا جاي أفوقك.

- تقصد إيه؟ إتكلم وماتخاف.

قالها كبيرهم، ليتابع «سامر» زارعًا سمه:

- الخواجه كان هايديكوا كام؟ مليون؟!

سكت الجميع مبتسمين، ليكمل «سامر»:

- إيه.. خمسه؟! عشره مليون؟!

حينئذٍ انقطع الجميع عن السخرية وكفوا عن العبث، ليجلس الرجل الأربعيني متسائلًا:

- وإنت بقى هاتدفع أكتر؟!



- أيوه بس اسمعوني.

***

من على المنضدة امتنع «هشام» عن شرب هذا العصير، لتبتسم «سما» قائلة:

- ماتخافش، مش حاطه حاجه في العصير.

- تقصدي إيه؟!

تساءل «هشام» لتتابع مصارحة شكوكه:

- مش ده الكلام اللي كله قالهولك؟!

قالتها وهي تنظر إلى «حلمي مهران» فرد عليها متسائلًا:

- ويا ترى الكلام ده غلط؟

ابتسمت (هي) بطريقة مرضية قائلة:

- لأ، كان صح.

***

من مكتب البدوي أكمل «سامر» حديثه مقنعًا إياهم بمساعدته على الحفر لإيجاد ما في باطن الأرض من أسراره.

- طب لو حفرنا وملقناش حاجه؟

تساءل الرجل، ليجيب «سامر»:

- الله أكبر عليك، أهو أنا مستني السؤال ده من بدري،



لو ملقناش حاجه، يبقى نكمل في إجراءات بيع البيت، واخصم تمن الحفر من حسابي.

- والله كلام موزون.

قالها «الشيخ» مُعلِّقًا، ليعلق مساعده الأربعيني:

- بس الحفر تحت بيت زي ده، وفي مكان زي ده مش سهل، ممكن البيت نفسه يقع.

- ماتخافش ده شغلي، ودي دراستي.

- طب وبالنسبه للجيران؟

- لو حد سأل نقول إننا بنشطب، وبعدين الموضوع كله مش هاياخد أيام.

- طب والخواجه؟

تساءل الشيخ، ليجيبه «سامر» بثقةٍ تامة:

- هاتنيموه، بس عشان مانخسرش كل حاجه، لازم نبدأ بسرعه.

***

من شقتها تغيرت ملامح «سما» للتو لتسأله (هي) مبتسمة ابتسامة شيطانية لم يلاحظ إبعادها إلا «حلمي مهران» و(هي) تقول:

- أنا هاحتاجك في خدمة يا سيادة المقدم.



- تحت أمرك خير؟!

قالها «هشام» قبل أن تسترسل (هي):

- كل خير.. إن شاء الله!

بدأت (هي) تطلب طلباتها التي لم يتقبلها «هشام» على أي حال، ليزداد توتره محركًا رجله بطريقة غريبة، فلقد سمع للتو ما لم يصدقه.

- إنتي عايزه ترشيني؟!

- أكيد لأ، أنا عايزه بس آخد فرصتي عشان أدافع بيها عن نفسي.

- وإحنا موافقين.

تدخل «حلمي مهران» ليعترض «هشام» في ذهول:

- جرى إيه يا «حلمي»؟ ده شغلي أنا، وأنا مسمحش بكده.

غمز له «حلمي مهران» قبل أن يذكره بمهمتهما المشتركة:

- إنت شغلك إنك تعرف الحقيقه، مش بس تنفيذ القانون.

- وأنا كمان عايزه أعرف الحقيقه ومستعده بعدها لتنفيذ القانون.

قالتها «سما» بشيء من التجاوب، ليهدأ «هشام» الذي فهم أن «حلمي مهران» يخطط لشيء ما، قبل أن يضيف



الأخير:

- إنتي عايزه تعرفي إنتي بتعملي كده ليه.. صح يا «سما»؟

أومأت «سما» برأسها قبل أن تضيف:

- واضح إنك بتشوف اللي محدش غيرك بيشوفه يا «حلمي».

- يمكن!

- يبقى مفيش داعي أكدب، واضح إني لو كدبت هاتعرف.

- ذكيه.

قالها «حلمي مهران» لتستفز «ماجي» قبل أن تجيب «سما»:

- وعشان كده عايزه أفهم، لإني فعلًا بقيت مصدقه إني فعلًا عملت كل ده! بس أنا عايزه أعرف ليه! أنا زمان درست علم نفس، عشان كنت عايزه مبرر لحاجات كتير.

- والدتك!!

أجابها «حلمي مهران» لتدمع «سما»:

- أيوه، كنت بشوفها كتير، رغم إنها كانت في غيبوبه.

قالتها ليتذكر»حلمي مهران» للتو بعض ما كان إبان فقدانهم الوعي ليردف:



- وإحنا في غيبوبه بنكون أقرب ليكوا مما تخيلوا.

اندهشت «ماجي» و«هشام» بينما ارتاحت «سما» قائلةً:

- كلامك بيطمن.

- عشان عيشته.

- يعني هي فعلًا كانت أمي؟

تساءلت والحيرة تقتل ما تبقى من عقلها، ليزيد «حلمي مهران» من حيرتها:

- أنا زيي زيك، عايز أعرف الحقيقه.

- بس أنا برضه شوفتها بعد ما ماتت يا «حلمي».

ابتسم «حلمي مهران» متسائلًا:

- أربعين يوم!

- معرفش يمكن أكتر.

- الحلم أحيانًا يغلب العلم يا «سما».

- يعني أنا فعلًا مش ملبوسه؟

عادت «سما» لتتساءل، فأجابها «حلمي مهران»:

- إجابات أسئلتك هاتلاقيها في الكتاب.

قالها «حلمي مهران» ليندهش الجميع وتتساءل «ماجي»:

- كتاب إيه؟!!



***

من داخل مكتبة جامعته بـ«فرانكفورت» كان الخواجة «جون» مع أحد مساعديه يتحدثان حول مائدة كبيرة وضع عليها الكثير من الخرائط، ليعاتبه «جون» موبخًا:

- ألم تستطع فك طلاسم تلك الخرائط بعد؟

- لا يا سيدي للأسف.

- لو كان «عياش» حيًّا لأدرك ما بها في دقائق معدودة.

قالها «جون» متذكرًا عالم المصريات الذي اكتشفه سلفًا.

- أنا أفضل ما تمتلك الآن.

- ولكن سيظل في مصر الأفضل، فهي حضارتهم، هم وأجدادهم.

***

من داخل شقة «سما» كان «هشام» أكثر هدوءًا ليقول:

- إديني فرصة أفكر!

- مفيش وقت، الفرصه بتيجي مره واحده.

قالتها «سما» بينما تدخل «حلمي مهران» مطمئنًا إياها:

- ماتخافيش يا «سما»، معاكي لآخر الأسبوع.

ابتسمت «سما» فلقد كان ذلك بعد الأربعين بالفعل!



خرج ثلاثتهم من منزل «الجارحي» غير منتبهين لحراسه المراقبين لهم.

ليستقلَّ ثلاثتهم السيَّارة، ليتحدث «هشام» الذي كان ممتلئًا بالفعل:

- ما هو أنا لو مليش لازمه تيجي لوحدك.

بغيظ قالها، ليهدئه «حلمي مهران» الذي كان يعرف بالتحديد ماذا يفعل:

- إطلع على المكتب وهافهمك كل حاجه.

بينما كانت «سما» ترمقهم من أعلى مبتسمة قبل أن تتوجه إلى كتّابها لتتبع ما بدأته في تحدٍّ.

***



(10)

من غرفته بمنزل «الألفي» كان «عبد السميع» يتألم من على سريره من تلك الرؤيا المزعجة، والتي يراها آنيًا، وقد جعل يتأوَّه متألمًا بمجرَّد أن بدأت أحداث رؤياه هذه!! حين كان طفلًا، في تلك الحقبة البعيدة من الزمان، عندما كان في غرفته، ولكنه كان يسمع يسمع صوت أبيه «إبراهيم الألفي» قادمًا من الغرفة المجاورة، ليحاول غلق أذنيه بكفَّيهِ الصغيرتينِ، ولكن دون جدوى، ليخترق أسماعه ما يقوله أبوه عبر الهاتف، رغم غلقه الباب:

- زي ما قلتلك يا «عصمت» ده لمصلحتك.

قالها الأب حينها عبر الهاتف قبل أن يدرك أن ابنه قد يسمعه فيقول في توتر:

- عمومًا أنا هاجيلك نتكلم.

فرغ الأب من مكالمته، ثم خرج إلى غرفة ابنه يوبّخه بشدَّة:

- إنت بتتصنت على أبوك!!!!

اقترب الأب من الطفل لينهال عليه لحظة أن استيقظ «عبد السميع» للتو، غير مدرك أن من كان يتحدث إليه حينها هو أبوه، بينما بدأت بقية الرؤيا تطارد «سما» التي كانت في سريرها والعرق يغمرها، لينهال على مسامعها صوت «إبراهيم الألفي» حين كان مع والدتها يوبخها من



شقة زوجيتهما منذ عشرات السنين!

- قلتلك ١٠٠ مره أنا مش عايز عيال!

قالها «إبراهيم الألفي» من منزل «عصمت» والدة «سما» التي كانت ترتدي ملابس النوم، ليكمل هو معللًا:

- أنا مش هاكرر مأساتي، أنا مش هاخلف تاني، وافتكري كويس إن ده كان شرطي.

- وأنا مش هانزّل اللي في بطني يا «إبراهيم».

- هاتندمي يا «عصمت» واللي في بطنك هايندم.

- أنا هاتحمل المسؤوليه ولوحدي.

- خلاص يا «عصمت»، إنتي اللي كتبتي النهايه.

- أيوه يا «إبراهيم»، عشان مش إنت الراجل اللي أنا حبيته واتجوزته، الراجل اللي رضيت أتجوزه رغم إنه مخلف أربع عيال، كنت شايفاك هاتغيرلي مستقبلي، مش هاتدفني بالحيا!

قالتها «عصمت» نادمة على زواجها من «إبراهيم» الذي اشترط عليها ما يحرمها من أهم حقوقها، الأمومة، متجاهلًا احتياجها، ولكنها كانت تجهل هي الأخرى سبب خوفه من تكرار تجربته في الإنجاب، فلم يكن قد استكفى بأربعتهم كما ظنت، ولكنه كان يهاب من خلفة الإناث!!

- من الكابوس اللي عِشته في ولادي يا «عصمت»،



مش عايزه يتكرر!

- شوفت؟ إنت مش «إبراهيم الألفي» اللي انا اخترته، «إبراهيم» اللي مكنش بيخاف غير من اللي خلقه، مش جبان بيخاف من بكره!

- كفايه يا «عصمت»!!

علق «إبراهيم الألفي» لتصدمه «عصمت» طالبة حريتها.

- لأ، مش كفايه يا «إبراهيم».. طلقني.

تروَّى «إبراهيم» برهةً حينما أدرك تمامًا ما سمعه منها بكامل إرادتها وإصرارها، ثم جلس للحظات يتابع:

- هاطلقك يا «عصمت»، وماتخليش اللي في بطنك يعرف أنا مين، يمكن نصيبه يكون أحسن من اخواته، لو ولد سميه «عبد الصمد»، ولو بنت سميها «سما»!!!

استيقظت «سما» من حلمها للتو مذهولة من تلك الرؤيا، تَتَدَارَكُ نفسها، بعد أن التقطت أنفاسها -للحظات- مستجمعة بعضًا من قواها الخائرة قبل أن يكرر الأب كلمته في أذنيها:

«لو بنت سميها «سما»

نهضت «سما» ممسكة برأسها، لحظة أن سمعت صوت «سليمان» يهمس في الغرفة قائلًا:

- ها أنا لا أزال أكشف لكِ المزيد والمزيد، ولكن

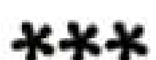


تذكري أن المزيد سيفسد لك المزيد... ههههه.

- إخرس....

صرخت «سما» وهي تتحرك بجنون لتضيء الأنوار، قبل أن تتوجه لتفتح أحد أدراج غرفتها المليئة بالأوراق بفوضويةٍ عاتية، أخذت تقلب بين الأوراق مُبَعْثِرَةً إياها، فتطيش ورقةً هنا وأخرى هناك، في بحثٍ دءوبٍ عن قسيمة زواج والديها، لحظات من الهلع مرّت بها ولم تعثر على شيءٍ، فقررت الخروج من الغرفة، ثم انطلقت تبحث في أرجاء البيت، حتى فُتح باب غرفة أخيها تلقائيًا، توترت «سما» واقتربت في هدوء، فأبصرت إضاءة إحدى الأباجورات تضيء من على مكتب أخيها، فدنت متريثة في تحفظٍ، ليفتح لها الدرج نفسه، فترى بعينيها تلك القسيمة واضحة لها، فتمسكها وهي تكاد تطير من الفرح، تحملق فيها محدقة في مفرداتها حرفًا حرفًا، إذ لا تكاد تصدق ما تمسك به يداها، ثم تقفز عيناها على القسيمة لتنظر إلى اسم الأب، ولكنه لم يكن «إبراهيم»، لترتاح لحظة قبل أن تنظر إلى التاريخ الذي فهمت منه صدق رؤياها! لتسمع صوت «سليمان» يجول في فضاء المكان كما يرن جَلِيًّا بين طبلتي أذنيها:

- ها هي الحقائق تَتَكَشَّفُ لكِ، فلنتابعِ إذن الطريق، لم الانتظار؟! ولتبشري، فلن تعودي وحيدةً!





من مكتب «حلمي مهران» كان يمسك بمكعب «روبيك» كعادته وهو يشرح إلى «هشام» ما قصد:

- أولًا إنت معندكش حاجه تقدر تطلع بها أمر بالقبض عليها صح؟

- يعني إحنا بنغلب؟ ما على يدك القضيه اللي فاتت.

أجاب «هشام» ليتابع «حلمي مهران» مذكرًا إيَّاه:

- بس القضيه دي لسه مخلصتش.

- تقصد إيه يا «حلمي»؟

تساءلت «ماجي» ليجيبها:

- «سما» عايزه وقت عشان تعمل حاجه، لو خافت مش هاتعملها، وهانقعد عمرنا كله مش عارفينه.

- لكن لو حسسناها بالأمان هانقدر نفهم.

رددها للتو «هشام» مبتسمًا بعدما أدرك ما رمى إليه «حلمي مهران».

- وكده كده أول ما تطلع أمر بالقبض عليه ماترددش.

تنبه «ماجي» لتلومه:

- بس «حلمي مهران» مابيرجعش في وعوده.

ابتسم «حلمي مهران» مذكرًا إياها بموقفه:

- و«حلمي مهران» مش ظابط في الداخليه يا «ماجي».



- حلوه دي .

قالها «هشام» ضاحكًا، ليبتسم «حلمي مهران» ويضع مكعب روبيك الذي أنهاه للتو.

***

من خارج حديقة «الجارحي» كانت «سما» تهمُّ بالخروج قبل أن تلاحظ وجود بعض العمال ومعدات الحفر، بينهم رجال بدو، وعلى رأسهم هذا الرجل الأربعينيّ لتسأله:

- إنتوا بتعملوا إيه؟!!

من القبو يظهر «سامر» مجيبًا:

- حبة تجديدات، لو الصوت مضايقك يا ريت تسيبي العماره أسبوع.

- إنت بتقول إيه؟! ده بيتي زي ما هو بيتك بالظبط!

- لأ معلش، ده بيت جدي وأهلي، إنتي حيا الله أرملة عمي.

بقسوة قالها متمنيًا الموت لعمه، لتهاجمه للتو:

- إنت بتقول إيه؟!..«أكرم» عايش وهايقوم بالسلامه وهايرجع يربيك.

- وأنا مستنيه.. هههههه.

يقولها ساخرًا قبل أن تتحرك هي إلى الخارج متجهة إلى



سيارتها وصولًا إلى زوجها داخل المستشفى حيث وصلت هي إليه عابرة من الحراسة الموضوعة حوله، لتدخل إليه وتشكو له همها من جانب جسده المستلقي دون حول ولا قوة، دون أن ترى طيفه العابر من جانبها يتساءل عن همها قائلًا في سره:

- مالك يا «سما»؟! أول مره أشوفك كده من زمان!

بالطبع لم تسمع همسه «سما» وإن أجابت شاكية:

- تعبانه يا «أكرم»، مابقتش فاهمه حاجه، مابقاش في أي ثوابت، كل حاجه بتتغير، أنا بضيع.

- مش هاتضيعي طول ما أنا هنا، أنا راجع يا «سما» راجع.

لم تسمعه واكتفت بتقبيل جبينه وهي تنظر إلى الشرطي المتوقف ليراقبها، قبل أن تخرج في ردهة المستشفى متخبطّةً بين جنباتها:

- أهلًا يا فندم.

قالها الدكتور «صلاح» الذي قابلها للتو، لتجيبه:

- أهلًا يا دكتور، كنت بدور على حضرتك.

- تحت أمرك.. خير؟!

- كل خير.. إن شاء الله!

***



قُبالة هذا القبو المُرِيب كان «سامر» مبتسمًا بجانب رجاله، من بعد اكتشاف تلك البوابة الحديدية وَالتي ظهرت بعد ساعات قليلة من الحفر، ليقول الرجل الأربعيني، حينئذٍ:

مكنتش مصدق إننا هانوصل بسرعة كده!

- مش قلتلك، يالا شوف العدة المطلوبة عشان نفتح الباب.

من بين هؤلاء وهؤلاء برز الشيخ باديًا عليه القلق والحيرة، وهو يقول:

- والله دي بوابة ما هي من صنع بشر.

- هو انتوا كلكوا كده هنا.

تساءل «سامر» مندهشًا من رد فعل الشيخ:

- والله زي ما بقولك دي بوابة ليها حرَّاس، ويلزمها مفتاح.

- هاندرمغها يا شيخنا ماتخافش!!

قالها مساعده الأربعيني ليكمل الشيخ قلقًا:

- لازمن تخاف، دي حراسها بيكون من الجان، ولازم هما اللي يفتحوها بمفتاحها.

- ودي مفتاحها هايبقى فين بس؟! دي حاجة باينلها ألف سنة!!



- دي مفتاحها كتاب! بس مش كتابنا! ده كتاب نجس.

- يا بيه نجس نجس، المهم يتفتح.

علّق «سامر» قبل أن يقول الرجل الأربعيني:

- أنا هافتحه ماتشغلوش بالكوا.

ظلوا يتحاورون غير مدركين لحراسها من على بعد خطوات يجلسان على دكتهما العتيقة:

- هانفتح الأبواب يا «سليمان»؟!

- لسه يا «أطياف»، لما يظهر المفتاح مع صاحبه.

- لما الدم الغالي يرخص!

- ساعتها بس أنا هافتح الأبواب وهاوصل الجسور، لكل أجل كتاب، ولكل وعد ميعاد!!

***

من غرفة «حلمي مهران» تجيب «ماجي» اتصال الدكتور «صلاح» الهاتفي منزعجة:

- أنا آسفة يا دكتور كان غصب عني.

«صلاح» محاولًا إدراك الموقف:

- طيب قولي لـ«حلمي مهران» لو عايز يعرف حقيقة «سما»، لازم يرجع المستشفى.

- هي «سما» جت لحضرتك!!



تساءلت «ماجي» مندهشة:

- أيوه.

أومأت «ماجي» لـ«حلمي مهران» الجالس بجانبها بالإيجاب، ليخطف الهاتف من «ماجي»:

- أيوة يا دكتور، كسبت، إحنا جاينلك حالًا.

***

من غرفة مديرها بالمصحة كانت «سما» تجلس مع الرجل تقص عليها رؤياها التي سلبت منها النوم.

- أنا مش عارفة الرؤيا دي جاتلي إزاي يا دكتور؟!

- مش يمكن تكون مجرد أوهام يا «سما»!

- لا يا دكتور أنا اتأكدت، أمي اتجوزت أبويا قبل ولادتي بأقل من ٦ أشهر، يعني الراجل اللي رباني ده مكنش أبويا! ولا «نصر» كان شقيقي!

قالتها «سما» مهمومة، ليتابع طبيبها ورئيسها في العمل:

- طب يمكن انتي عرفتي الكلام ده وانتي صغيرة، بس كان عندك حالة من الرفض أو عدم الفهم، وده يبرر كرهك لوالدك وغيرتك من أخوكي.

- يعني ممكن أكون أنا اللي قتلتهم!!

يترجَّل الطبيب مقتربًا منها ليجالسها، وهو يقول:



- بالراحة على نفسك يا «سما»، واضح إن حالتك رجعت تسوء، وأعتقد إن السبب هو تكرار الصدمة، يعني انتي من ساعة موت والدتك وانتي صغيرة، محصلكيش صدمة زي اللي حصلت، انتحار أخوكي، وحادثة جوزك في يوم واحد!

حاولت «سما» إدراك حقيقتها متسائلة:

- يعني كل اللي بشوفه ده أوهام يا دكتور، أنا عقلي بيروح مني، الأصوات بتطاردني.

- صوت مين؟!

تساءل الرجل في فضول لتجيب هي متذكرة صوت «سليمان»

- الشيطان يا دكتور، الشيطان نفسه بيكلمني، بيوزني..!

- يا «سما» كل واحد منا ليه شيطان، بس كمان ليه ملاك، دي سنة الحياة، الحلو والوحش، الاتنين جوا كي، اوعي بس تخلي الوحش يغلب، وخلي بالك عمر ما الوحش بيبان وحش، بالعكس لازم الشيطان يبررلنا، عشان نغلط بأريحية..! لأن الفطرة فينا للخير، ارجعي لفطرتك يا «سما»، ارجعي لنفسك قبل فوات الأوان.

- أنا تايهة.

- خدي أدويتك يا «سما»، انتي لسه هنا، وجوزك لسه هنا. ده اختبار من ربنا، ماتسقطيش فيه..!

- مش هاسقط يا دكتور، بس قبل ما أمشي عايزة



أطلب منك طلب.

قالتها «سما» قبل أن تبتسم (هي) ابتسامة شيطانية بينما يتأخر الدكتور قليلًا إلى الخلف وهو يتساءل:

- خير؟!!

ابتسمت (هي) متابعة:

- كل خير..

***

من مكتب الدكتور «صلاح» وصل ثلاثتهم ليجلسوا أمامه، ليبدأ هو تشفيه:

- ما هو أنا لعب العيال بتاعك ده يا «حلمي» ماينفعنيش، عشان إحنا مش عيال صغيرة.

- ما هو عشان كده مش مفروض تحبسني.

شعر «صلاح» بأحقية «حلمي مهران» فتابع معتذرًا:

- أنا آسف يا سيدي، بس ما هو أنت المفروض تبقى عارف مصلحتك برضه.

- عارفها يا دكتور.

- يعني هاتكمل علاجك.

تساءل «صلاح» ليجيب «حلمي مهران»:

- أيوه يا دكتور.



- بس من غير حبس.

- أكيد من غير حبس.

- طيب المهم بقى كانت عايزة إيه «سما» منك.

تساءل «هشام» قبل أن يجيب «صلاح» بنفور عن الإجابة:

- والله جت سألت سؤال غريب أوي.

- إيه؟

- سألت هو هايفوق إمتى؟! واضح أن الست دي مجنونة.

قالها «صلاح» قبل أن تتساءل «ماجي»:

- وليه ما عادي أن هي تسأل السؤال ده على جوزها كل يوم.

علقت «ماجي» بعقلانية؛ ليوضح «حلمي مهران»:

- بس واضح أنها مكنتش بتسأل على «أكرم» جوزها.

- بالضبط كده.

قالها «صلاح»، وهو يرمق «حلمي مهران»، ليتساءل «هشام»:

- يعني إيه؟

بهدوء يجيب «صلاح» موضحًا:

- يعني كانت بتسأل «حلمي مهران» هايفوق من غيبوبته



إمتى؟!!

***



(11)

من القبو ظل الفشل حليف «سامر» الذي جرب مع جماعته شتى الطرق؛ حيث لم تستطع كل أدواتهم فتح تلك البوابة الحديدية القديمة، ليندهش بجانب عدة التكسير المُلقاة إلى جواره، ليخرج مُتبرّمًا يبدو عليه الضيق صائحًا:

- يعني إيه؟ قافلها شياطين، يعني ؟!!

في جنون قالها وهو يخرج إلى الخارج؛ حيث يجد «سما» عائدة تتساءل:

- أنا عايزة أفهم انتوا بتعملوا إيه بالظبط!!

- بقولك إيه أنا مش فايقلك، مش قلتلك تنيلي تسيبي البيت.

بعصبية أخافتها قالها فتدخل مسرعة صاعدة إلى منزلها لتولج «سما» في ضجرٍ متجهة بإصرار إلى هذا الكتاب في تحدٍ جليّ، لكل تخلصها (هي) من ضعفها، فتمسكه، وتبدأ الترتيل، فيبدأ «سليمان» بالحركة، والاضطراب! يجول في أرجاء الحديقة بميكانيكية مُلفتة للنظر، يتبع الأوامر وُصُولًا إلى فتحة القبو، ليغْلَق الأبواب من الخارج!

من داخل القبو يصاب مساجينه بالذهول وهم مشدوهون قد بدا عليهم الموت، حالما أخذت تلك الجدران تهتز بعنفٍ مع صوت الطبول الذي يتصاعد ليزداد الهلع والصياح من الجميع حال «سما» التي تستيقظ لتوها من على



سريرها! في ثقلٍ شديدٍ وما فتئت الجدران من حولها تهتز أو هكذا ظنت أنه يخُيِّل إليها، لحظات قبل أن نتوقف وتعود الجدران راسخة كما كانت، مع توقف صوت تلك الموسيقى الصاخبة المنبعثة من أسفل!!

فشعرت «سما» بضيقٍ وقد فهمت الرسالة، لا سِيَّما مع استمرار صوت حفر العمال بالأسفل، فنظرت إلى الساعة، إذ الوقت كان لا يزال متأخرًا، فتوجهت إلى النافذة لتجد هنالك بعض العمال لترتدي روبًا وتلتقط سريعًا هاتفها نازلةً إليهم !! فتسللت (هي) من بين الرجال وصولًا إلى هذا القبو:

- انتوا بتعملوا إيه؟ وإيه ده؟!

انتبه «سامر» إلى وجودها للتو ليزداد غضبه استياءً:

- وانتي مال أهلك انتي، امسكوها يا رجالة.

أسرع إليها الرجال يحلقون عليها:

- انتوا اتجننتوا، سيبوني، بتعملوا إيه؟! أنا هاطلبلكوا البوليس انتوا هاتوقعوا البيت على دماغنا !

بشيءٍ من البراءة وبكثير من السذاجة قالتها «سما»!

- هاتوا تليفونها بسرعة، واحبسوها في شقتها لغاية ما نخلص، وخلي حد من الرجالة يكون معاها.

سحب أحد الرجال من بين يديها هاتفها، ليمسك بها اثنان آخران حاملين إيَّاها إلى أعلى، في غضون صيحاتها المدوية



واستغاثاتها المتعاقبة التي لم يسمعها «عبد السميع» الذي يستيقظ للتو من شقته ممسكًا برأسه متألمًا قبل أن يضع تلك المخدة على رأسه! دون أن يتوقف صراخها، ليقوم ويتوجه إلى «عبد البصير» الذي كان مستيقظًا هو الآخر يرى بوضوح ما يحدث!

***

ظلت «سما» حبيسة في شقتها بينما يراقبها ذاك الحارس، ريثما ينجز القوم مهمتهم، فحاولت التوجّه إلى الداخل، لتلجأ لحاسوبها بشيءٍ من التسلُّل ولكن الحارس فطن لها فتدخل ليفصل الجهاز قائلًا:

- بقولك إيه اهمدي بقى، كلها كام ساعة، ونروح لحال سبيلنا.

- طب بوقلك إيه، عايزة أكلم الشيخ.

- شيخنا؟!

تعجب الرجل لتؤكد (هي):

- آه بس لوحده.

- عايزاه في إيه خير؟

- كل خير.

قالتها (هي) مع ابتسامتها الشيطانية المريبة.

***



من أمام القبو كان اليأس ظاهرًا «سامر» الذي انتبه للتو إلى كلبه الواقف عند مدخل الحديقة في شكل غريب، فذهب نحوه ليتبعه حتى وصل إلى مدخل العمارة التي دخلها الكلب! فاندهش «سامر» وأخذ يصعد السلم خلف كلبه، فإذا به يجدها (هي) تسابقه فتصعد السلم قبله إلى أن سبقته فعلًا فغدت فوقه بضعة أمتارٍ على هذا الدَّرَج الحلزوني الشكل، ليندهش وهو يراها صاعدةً، فناداها من تحتها:

- انتي خرجتي إزاي؟!

من أعلى تظهر (هي) في صورة «سما» مُصوِّبة إليه النظر في الأدنى، حيث كان هو قائمًا يُصَعِّدُ إليها بصره أسفل منها فتناديه (هي):

- تعالَ يا «سامر» خايف ليه؟

كان الخوف باديًا عليه بالفعل، فجعل يصعد بهدوء، ورويّةٍ حتى بلغ الطابق الأوسط عند باب شقته، قبل أن يسمع «سما» تناديه من أسفل من عند شقتها، لينظر إليها متعجبًا متحيرًا، يكاد يذهب عقله!

- ماتطلعلهاش يا «سامر»، اوعى تطلعلها.

ظل «سامر» يرمقها من الأسفل في عدم فهم، ثم ينظر إليها بالأعلى، وفجأة قد اختفت تمامًا، ليتراجع عن مكانه خطوة إلى الوراء مقابل باب شقته، ليسمع صوت ذاك السكين الذي غرس في أحشائه للتو، قبل أن تظهر (هي)



من خلفه مبتسمة والدم يندفع من فمه، قبل أن تتركه يسقط مضرجًا بدمائه، وتلتفت إلى هذا الكلب الذي هوى فزعًا على الأرض رابضًا بجوار جثة صاحبه يبدو عليه الانكسار والوهن، فتبتسم (هي)، وتصرخ «سما» للتو مستيقظة من غرفتها على تلك الرؤيا الغريبة، فتنهض، وتبتلع قرصًا من دوائها وهي تُحدث نفسها:

- مخك راح فين يا «سما»؟!

قالتها، ووقفت في توتر فلم تعد تستطيع التمييز بين الواقع والخيال، لحظات هدأت فيها ثم قررت الخروج إلى صالة شقتها قبل أن تُفَاجَأ بجثة «سامر» قاعدًا أمامها على المنضدة والدم لا يزال يخرج متدفقًا منه! تسمرت «سما» واقفة في مكانها والدم يكاد يتجمَّد في عروقها، مع تصاعد صوت الطبول مجدّدًا لا تفهم ما يحدث، ولا تدرك ما يحيط بها! جاهلةً عمن تبحث، حائرة وجدت ظلال أحد الرجال خارج شراع الباب، لحظات من التوتر سادت، لحظات من الحيرة شتت عقلها، ثم عملت على تجميعه شيئًا فشيئًا حتى تذكرت كلمات «عبد الوارث» حينما أعطاها كارته:

- لو احتجتي أي حاجة أرجوكي كلمينا، مش هانتأخر عليكي.

دخلت «سما» تستجلب ذاك الكارت..فأخذت تبحث عنه بعناية حتى وجدته في جيب سترتها، قبل أن تتفقّد



هاتفها فلم تجده، ثم تسمع صوت الجرس قادمًا من الخارج، لتعود وهي متحفظة متردّدةً، إلّا أنّها ذُهِلت حالما أدركت أنَّ الصوت نابع من جيب «سامر» المقتول آنفًا، توجَّهت إليه في حرصٍ شديدٍ، وتتناول الهاتف بأصابع مرتعشة، قبل أن تقع جثته فجأة فترتطم أرضًا، كان الهاتف هاتفها بالفعل الذي أخذه «سامر» منها مسبقًا، ففتحته ودونت رقم «عبد الوارث».

- الحقوني، الحقوني أنا أختكوا، والله العظيم أختكوا.

بتؤدةٍ يجيبها «عبد الوارث» عبر الهاتف:

- كنت متأكد، ماتخافيش.

- أنا خايفة، الليلة ليلة الأربعين.

قالتها قبل أن يفتح الباب من خلفها فجأة مع صوت قوي، ليقع هاتفها أرضًا مع انفتاح دفتي هذا الكتاب تزامنًا مع تصاعد صوت الطبول، لتبدأ الطقوس من فورها!

***

من غرفته يستيقظ «حلمي مهران» للتو في حالة غريبة، فلقد شاهد كل ما سبق بالفعل حال «أكرم»! ليدرك «حلمي مهران» خلال رؤياه أنها ليلة الأربعين بالفعل، ليتجه إلى هاتفه ويحاول الاتصال بـ«هشام» الذي كان نائمًا في غرفته، ليكرر الاتصال كثيرًا، حتى يأس وأرسل إليه رسالة.



«سما» هاتنفذ النهاردة، مفيش وقت تعالى على بيت «الجارحي»

يقولها «حلمي مهران» ثم يهرع مهرولًا إلى الخارج.

***

من سيارتهم بدوا ثلاثتهم يشقّون إليها طريقهم، بينما يقود «عبد الوارث» في توترٍ بينما من الحديقة ظهرت (هي) متجسدة في صورة «سما» تسير بخطواتٍ هادئة والشيخ يقودها إلى مصيرها ناحية القبو، فيبتسم «سليمان» الذي ينثني على «أطياف» بجانبه، قائلًا:

- مش قلتلك هانت يا «أطياف».

- هاتفتح البوابة يا «سليمان» ؟!

- هافتحها طالما الدم طاهر.

كانت تسير حافية القدمين كالمتوجهة إلى حجرة الإعدام، وقد كانت بالفعل كذلك، والشيخ إلى جوارها يخطو معها وهو يبتسم؛ إذ كان يعلم الكثير، بينما لم يظهر عليها أدنى اعتراض وكأنها قد استسلمت لمصيرها المحتوم مع ظهور صوت «سليمان»:

- الآن صرتِ منا، وسنصير إليك، اليوم أفتح لك الأبواب، وأمد الجسور لاستقبالك، فقط مديني بهذه الدماء الوردية الطاهرة، زهرية المصدر والتي تروي عطشي، فلتقتربي أكثر فلم يعد هناك إلا الخطوة الأخيرة!



قالها ريثما وصلت (هي) إلى القبو فتجثو أمام تلك البوابة، لكي تلقي مصيرها! بينما كان أخوتها الثلاثة في الخارج قد وصلوا للتو مترجلين من سيارتهم يحاولون إنقاذها من التضحية بدمائها قبل الأربعين، سبقهم «عبد الوارث» يناديها لتسمعه «سما» وتعود إلى رشدها، لتهرع إليه في الخارج دون اعتراض الرجال، فلم تكن مجبرة من الأساس!

من الخارج قبل أن تدرك أخوها، نظرت «سما» إلى «سليمان» الذي رأته للتو بجانب «أطياف» ليذكرها بالدنيا وما فيها من كنوز، لتبتسم و(هي) تسحب هذا السكين من أحد الرجال لتغرزه للتو في أحشاء «عبد الوارث» الذي وصل إلى أحضان أخته لتقتله، قبل أن يدرك أخويها من الخلف ما حدث لأخيهم، فلقد كان قائدهم أكبرهم حجمًا وأكثرهم طولًا، ليصرخا سويًا للمرّة الأولى، بينما ظل «عبد الوارث» ينظر إليها محدِّقًا نظرته الأخيرة في قاتلته، وهو يقول:

- أختي، بنت الألفية، ده انتي غاليه.

- سامحني يا أخويا بس دمك أغلى.

قالتها تاركةً إيَّاه يرتطم أرضًا حالما هرع إليه أخويه، فيجذبهما الرجال إلى الداخل بينما قامت (هي) باجترارِ جثته بنفسها!

من الداخل وضعت (هي) جثة «عبد الوارث» بطريقةٍ



مُرتبَّة، حيث تمَّ إلقاؤها لدى البوابة ليبتسم الشيخ، ورجاله الذين جثوا احترامًا لكبيرتهم، فـ(هي) من خططت لكل شيء من البداية، لتشير إليه لتكشف له بوضوحٍ السرَّ، فإذا بكفوف الأخوة وقد أمرت بهما فأُبرزَا، ليرى فيهم هذا الفلق الأفقي الذي يميزهم عن غيرهم، فيومئُ رأسه إليها بالإيجاب، فإذا بها وبدم بارد، تقوم بقطع شرايين كل منهما، وسط تألم الجميع ليقعا خلف أخيهم، عقب أن تقاطر الدم فتصفَّى بجانب جثة قائدهم، فيرووا بدمائهم تلك البوابة حتى شربتها إلى الأعماق، ليفتح «سليمان» عينيه للمرة الأولى، ويدخل متوسطًا الجميع، وهو يكرر في أذهانهم !

- اليوم فديتِ نفسكِ، وأهديتيني من الدم النفيس، الآن أصبح خادمك، كما خدمت غيرك، اليوم تملكين الدنيا، بعدما تعهدتِ ببيع آخرتكِ، فلتبشري فلم تعودي وحيدة !

بثقةٍ قالها وهو يسير وسط الجموع ليتجه إلى البوابة قارئًا من كتابه نص النهاية، لتفتح البوابات التي أخفت عن الجميع أسرار الكون آلاف السنين، حالما انتبه إليه واقفًا هناك ينظر إليهم في اندهاش، إنه طيف «أكرم» لا يزال صامتًا من هول ما يراه، قبل أن يستيقظ أخيرًا من غيبوبته، فالليلة كانت ليلة الأربعين، والتي يتحلَّل فيها الميت كما قد سأل فعرف مسبقًا، أَجَل يتحلَّل، يتحلَّل باعثًا الحياة لأناسٍ آخرين!!

***



من المستشفى عاد «أكرم» إلى الحياة للتو مستيقظًا من غيبوبته التي دامت أربعين يومًا من أمام زوجته «سما» الواقفة أمامه تبتسم، فظل «أكرم» يتراجع للحظات في السرير، بينما تقترب «سما» إليه شيئًا فشيئًا:

- «أكرم» ألف حمد الله على السلامة.

- ماتموتنيش...ماتموتنيش أنا مش هاقول حاجة.

تصل (هي) إليه قبل أن تبتسم مجدّدًا قائلة:

- ماتخافش يا حبيبي.

تقولها وهي تحتضنه لتكمل بينما هو خائف يكاد يقتله الذعر:

- انت بقالك أربعين يوم في غيبوبة.

- أربعين؟!

يدخل الطبيب «صلاح» مبتسمًا، ومعه ممرضة تساعده على الإمساك بـ«أكرم»الذي استفاق قبيل ساعات قليلة وهو يقول:

- على مهلك خالص، ألف مليون حمد الله على السلامة.

يستمر الدكتور في متابعته معقبًا:

- حقيقي البركة في الدكتورة «سما»، هي اللي قعدت جمبك الأربعين يوم دول كلهم، بتصلي وتدعيلك لحظة بلحظة.



- بتصلي؟!

- حقيقي ربنا يهدي سركوا.

قالها وهو يتابع حالته قبل أن يكمل مهمومًا:

- وعقبال «حلمي مهران» إن شاء الله.

- هو لسه في الغيبوبة يا دكتور.

تساءلت «سما» ليجيبها «صلاح»:

- أيوة يا دكتورة.

- طب هايفوق إمتى؟

***

من غرفته بالمستشفى كان «حلمي مهران» لا يزال في الغيبوبة بينما من جانبه «هشام» مع «ماجي» لا يزالا يتحاوران حول تلك الرسالة التي وردت «هشام» من هاتف «حلمي مهران»!

- أنا مش فاهم إزاي، بس زي ما قلتلك أنا جتلي الرسالة دي من «حلمي مهران».

- وأنا بقولك يا «هشام» التليفون معايا من ساعة الحادثة.

- يعني عفريت اللي بعتلي؟!!

تساءل «هشام» مضطربًا:

- هي الرسالة بتقول إيه؟



- مش عارف كانت بتقول إن «سما» هاتنفذ النهاردة ولازم نروح بيت «الجارحية»، وأنا معرفش مين دول أصلًا!!

كان بالفعل «هشام» يجهل من (هي)، فلم يكن قد عاش تلك الأحداث مسبقًا حال صديقه الذي كان في عالم مفتوح النوافذ!

- «سما الجارحي»!

كررت «ماجي» الاسم متذكرة لشيء ما لتتابع:

- «سما» دي تبقى مرات «أكرم الجارحي» اللي عمل الحادثة مع «حلمي مهران».

- بتتكلمي جد!

مصدومًا علق، فتزيده «ماجي» من الشعر بيتًا:

- أيوه والأغرب أن «أكرم» فاق من شوية.

- لأ كده يبقى في حاجة!!

- تعالى بسرعة مفيش وقت، دول زمانهم خارجين، أنا سمعت الدكتور «صلاح» بيستعجلهم الخروج.

***

من غرفته كان «أكرم» مستلقيًا على السرير يحاول النهوض، قبل أن يدخل الدكتور «صلاح» مبشرًا:



- ابسط يا سيدي، اتكتبلك خروج، ومدام «سما» تحت بتخلص الإجراءات.

لم يجبه «أكرم»، فعاد يسأله:

- إيه، مش مبسوط ليه؟!

- هو يا دكتور الواحد وهو في غيبوبة، ممكن يشوف اللي بيحصل حواليه؟!

تساءل «أكرم» ليسخر «صلاح» من قدره مع تلك الحالات:

- أهلًا، هو أنت منهم! طيب شوف بقى، يا أستاذ «أكرم» حضرتك رجعت من الموت، يعني تحمد ربنا وبس.

- أصلي شوفت حاجات مش مفهومة.

- ماتشغلش بالك، ده طبيعي من الصدمة، ماتخافش، هاكتبلك حبة علاجات، ولو احتجت حاجة المدام ما شاء الله عليها، ممكن هي تكتبلك علاج أحسن.

- لأ.

اندهش الدكتور «صلاح» قبل أن يدخل من خلفه المقدم «هشام» الباب، فيجد «أكرم» يعرفه قائلًا:

- المقدم «هشام».

اندهش «هشام» ومن خلفه «ماجي» التي دخلت للتو



ليتساءل «صلاح»:

- إيه ده أنتوا تعرفوا بعض؟

- لأ.

أجاب «هشام» ليعترض «أكرم»:

- بس أنا عارفك، المقدم «هشام» صح!

- أيوه، صح.

- طب أنا عرفتك إزاي؟

تساءل «أكرم» يكاد الجنون يفقد عقله ليجيب «صلاح»:

- ما هو المقدم «هشام» جيه كتير سأل على الحادثة، ممكن حد من التمريض يكون بلغك.

لم يفلح استنتاج «صلاح» ليكمل «أكرم» تساؤلاته:

- طيب فين «حلمي»؟ أنا عايز «حلمي مهران».

- هو أنت تعرف «حلمي مهران» منين!!

تساءل «هشام» مندهشًا ليجيبه «أكرم»:

- هو كان معايا علطول، هو فين؟!!

- «حلمي مهران» لسه في الغيبوبة للأسف!!

علقت «ماجي» ليتابع «أكرم» مندهشًا:



- غيبوبة إزاي!! أنا كده محدش هايصدقني خالص.

- يصدقك في إيه؟

قالها «هشام» الذي صار يؤمن بالكثير مؤخرًا، خاصة بعد وروده تلك الرسالة:

- لأ، ولا حاجة، طب طمني عرفتوا «رياض» أخويا مات إزاي؟! من أدوية «سما»! هي اللي قتلته.. صح، أنتوا مش شرحتوا الجثة؟

تساءل «أكرم» بينما لم يكن «هشام» يعلم شيئًا بعد!

- مش فاهم حاجة؟!! جثة إيه! ومين «رياض» ده أساسًا؟!

- ماتضحكش عليّا أنا شفت كل حاجة، ماتمثلوش عليّا.

يقولها وهو يصرخ حتى تدخل الدكتور «صلاح» إلا أنه لم يستطع كبح جماح «أكرم»، ليضطر إلى تخديره مرة أخرى!!!

***

من إحدى غرفات عقله المظلمة كان كلاهما سويًا «أكرم» مع «حلمي مهران» يتوسطان هذا المكان الخيالي ليسأل الأخير صاحبه:

- إيه اللي رجعك يا «أكرم»؟

- ماتسيبنيش يا «حلمي»، «سما» هاتقتلني.



- أنا لسه محبوس في جسمي، مش عارف أرجع.

- لازم ترجع يا «حلمي» أنت شوفت معايا اللي حصل صح؟!! «سما» هي اللي قتلتهم، «سما» وصلت للكنز صح يا «حلمي»، أنا مش مجنون يا «حلمي» صح؟

- أيوه يا «أكرم» أنت مش مجنون.

- يعني (هي) هاتقتلني يا «حلمي»...لازم ترجع يا «حلمي».

قالها قبل أن يبدأ في الانسحاب شيئًا فشيئًا، ليستيقظ «أكرم» على تلك اليد الممدودة له بالعلاج ليأخذه ويبتلعه، وهو يمسك بكوب الماء، فيلتفت نصف التفاتةٍ إلى أعلى فيجدها «سما» تبتسم له، قائلة:

- مش كفاية دلع بقى، ويالا نروح بيتنا، الدكتور كاتبلنا خروج من إمبارح.

كان أثر الدواء سريعًا ليومئ «أكرم» برأسه موافقًا في استسلام هادئٍ! لتستطيع «سما» إخراجه في دقائق معدودة، وهو يتحرك بصعوبة معتمدًا عليها بعدما أصرت على مساندته حتى وصل أخيرًا إلى تلك السيارة الفارهة التي خاف أن يسأل «أكرم» عن مصدرها، إلا أنها أجابت دون أن يسأل:

- تخيّل الواد «نصر» أخويا طلع كان محوش فلوس أد كده، اركب هحكيلك!



قادت «سما» السيارة الفارهة وصولًا إلى المنزل لتصفها، وتترجل مع «أكرم» الذي نزل ليجد هذا الحارس الجديد «سليمان» يرحب به.

- ألف نهار أبيض يا بيه، وألف حمد الله على سلامتك.

- ده الحارس الجديد «سليمان» يا «أكرم»، معلش بقى مكنش ينفع أقعد لوحدي من غير حارس.

لم ينطق جوابًا ولم ينبس ببنت شفة، حتى ظهرت «أطياف»:

- ودي «أطياف» مراتي.

- أهلًا ساعت البيه، نورت بيتك.

- أنا عارفك يا ست انتي، انتي اللي كنت عند «الألفية»!!

قالها «أكرم» متذكرًا تلك السيدة التي قادته لقبر «الألفية» منذ البداية، قبل أن تتدخل «سما»:

- «ألفية» إيه بس يا «أكرم»؟ ما ماتوا وشبعوا موت! انت مش اتأكدت بنفسك لما رحتلهم! يالا بقى بلاش دلع.

ظل «أكرم» شاردًا يتذكر رؤياه الأولى عندما رأى الأخوة الثلاثة في قبورهم، إلا أنه ظن أنه خاطئ حينها! فلقد تكلم مع ثلاثتهم بالفعل أو هذا ما يظن! توتر «أكرم» وهرب بنظره عنها لتقع عيناه إلى تلك البقعة التي كانت



ميتة وقد زرعت بالورود الآن، والتي رأى فيها جثة أخيه «رياض» في نومه، تسمّر قليلًا قبل أن تدفعه زوجته إلى داخل العقار، ليصعد مستسلمًا ويدخل الشقة، وما فتئ الشك يقتله، حيث وجد من أمامه هذا الكلب الذي عرفه من فوره، فشعر بضيقٍ شديدٍ يقبض صدره ويضغط على قلبه، فازداد همه، حالما توجه إلى غرفته ومن خلفه «سما» تُناديه:

- يا «أكرم» يا «أكرم».

دخلت عقبه مباشرةً متبرّمةً هي الأخرى!

- إيه يا «أكرم» في إيه؟! بوظتلي المفاجأة!

- إيه هاتقوليلي إني مجنون، وإني بيتهيألي، وإن أخويا «رياض» كمان عايش.

- عرفت منين؟!

تساءلت مبتسمة قبل أن تكمل:

- أنا لاقيت أخوك يا «أكرم»، «رياض» براه.

ذهل «أكرم» وتغيرت ملامحه، ليسبقها إلى الخارج فيصور إليه بأن أخاه «رياض» يجلس على كرسيه المتحرك، ليتّجه إليه مباشرة، محتضنًا إياه والسعادة تملأه قبل أن يلاحظ صمته وقلة حركته ليسأل:

- هو مش بيرد عليّا ليه؟!



- معلش من الصدمة هو كان تايه بقاله فترة، ممكن بقى تخش تستريح وتسيبه هو كمان يرتاح.

ابتسم «أكرم» مطيعًا زوجته أخيرًا بعد أن صدقها تاركًا أخاه «رياض» على هذا الكرسيّ، فدخل لتبتسم (هي)، قبل أن تعود إلى الخارج قاصدةً ذاك الكرسي المتحرّك لتقعد عليه، والذي كان بالطبع خاليًا مما صور إليه، لتضحك (هي) بجانب هذا الكلب، المرتعد منها، فلقد كان يرى صورتها الحقيقية قبل أن يردد «سليمان» جملته الأخيرة:

أبشر فلم تعد وحيدًا !

سمعها من غرفته ليستيقظ «حلمي مهران» للتو في حالة صدمة، لترتفع أصوات أجهزة الإنذار، ليهرع إليه من الخارج الممرضون.

***

من غرفة الدكتور «صلاح» كان «هشام» مع «ماجي» يتحدثان إليه حول «سما» في شك:

- في حاجة غلط في «سما»، دي ست مش طبيعية خالص.

قالتها «ماجي» معاتبة «هشام» الذي يدافع عن نفسه:

- عايزاني يعني أقبض عليها عشان شكلها مش طبيعي.

- اهدوا بقى يا جماعة مش كدة.



علق الدكتور «صلاح» قبل أن تدخل رئيسة التمريض مقاطعة إياهم:

- يا دكتور يا دكتور، «حلمي مهران» فاق.

توقف ثلاثتهم عن الحديث لكي يهرعوا إلى الخارج، صاعدين إلى غرفة «حلمي مهران»بالأعلى ليبدأ الصراع للتو.

***



(12)

من خلف مقاعدهم الثلاثة كان «صلاح» و«ماجي» و«هشام» يجلسون أمامه بينما «حلمي مهران» يقف في قوة يحاضرهم بكل ثقة، عما رأى أثناء غيبوبته القصيرة:

- هاشرحلكوا بس المهم تفهموني.

- هانفهم يا «حلمي» المرة دي أحنا مستعدين نصدق أي حاجة!

علق «هشام» ليضيف «حلمي مهران»:

- طيب هو مفيش وقت أتكلم كتير، بس مش أنا خبطتني بالعربية «أكرم الجارحي» جوز «سما»؟

- أيوه فعلًا عايز تقول أية؟

«صلاح» مقاطعًا بسؤالٍ، لينظر «حلمي مهران» إلى «ماجي» مختارًا إياها بعدما تذكر كلماتها في غيبوبته:

- «ماجي» أنا هابدأ بيكي أنتي، لو طلبت منك خدمة هاتساعديني؟

- من غير تفكير..

- هاتصدقيني؟

- من غير شك.

- عشان الشك بيقتل، ممكن بقى بدون شك تيجي معايا



تنقذوا حياة بني آدم ربنا بعتني ليه.

يشعر الجميع بالمسؤولية ليبدأ «هشام» بالحديث:

- من غير كلام يا صاحبي، أنا جتلي منك رسالة، وأنا مش مجنون ومصدقك.

- عال، طيب وإحنا في المشرحة كان في مادة مهدأة بتعمل هلوسة فاكرها.

- مشرحة إيه!!

- آه.

تذكر «حلمي مهران» أنه عاش هذا الماضي وحيدًا في خيال ليتوجه إلى «صلاح» متسائلًا:

- دكتور «صلاح» لو حد خد أدوية بتعمل هلوسة، نديله إيه عشان نقلل أعراضها؟

- حاجات كتير.

- أرجوك بسرعة قبل ما كله يجي.

- كله مين؟!!

تتساءل «ماجي» قبل أن تفتح «حنان» باب الغرفة للتو، فتجدهم ينظرون إليها في ترقب.

***

من ممر المستشفى خرج «حلمي مهران» يتحرك ساندًا



على «هشام» و«ماجي» وسط ضيق «صلاح» المجاور لـ«حنان»:

- كده خطر على «حلمي»، أنا بحملكوا المسؤولية.

لم يجبه إياهم ويتابعوا السير قبل أن يجدوا أمامهم «وعد» و«وليد» اللذين يندهشان من المشهد، ليترك «حلمي مهران» صديقيه، ويجثو ليحتضن «وليد»:

- حبيبي وحشتني أوي.

- أنتوا واخدين «حلمي» على فين!

تساءلت «وعد» متوترة ليقف «حلمي مهران» مستندًا على صديقيه ليطمئنها:

- ماتقلقيش يا «وعد»، أنا كويس، بس في حد حياته مرتبطة بوجودي دلوقتي، ادعيلي.

- هأدعيلك.

دامعة قالتها ليوصي «حلمي مهران» ابنه:

- خلي بالك من ماما يا «وليد»، أنا مش هاتأخر.

- حاضر يا بابا، وأنت روح انقذهم كلهم، أنت البطل، بطلي أنا.

ابتسم «حلمي مهران» وغادر لتقف «وعد» بجانب «حنان» ينظران إلى بعضهم البعض في ضيق، ومن وسطهما الدكتور «صلاح» متعجبًا.



***

من مكتب «هشام» كان مساعده مندهشًا من طلبات رئيسه ليقول له عبر الهاتف:

- يا باشتنا هو أنا حاوي!!

- اتصرف يا بني آدم، أنا كلمت اللواء «ضياء» وهو هايتصرف.

قالها «هشام» عبر الهاتف ليطمأن مساعده ويكمل ببلاهة:

- طب طالما هو هايتصرف بتكلمني ليه؟!!

- بقولك أنجز مفيش وقت...

يقولها ويغلق الهاتف قبل أن يجد «هشام» نفسه عند منزل «الجارحي»، فيصف السيارة ويترجل ثلاثتهم، ليعبروا من تلك البوابة، فيشير «حلمي مهران» إلى هذا المكان الميت الذي دُفن فيه «رياض»:

- هنا «رياض» مدفون.

قالها «حلمي مهران» وهو يتحرك إلى القبو، ليجد مكان الحفر والأعمال، ليندهش «هشام» و«ماجي»:

- إيه الحفر ده!!، ده البيت ده ممكن يقع كده!!

- حقيقي مفيش وقت لازم نلحق «أكرم».

علق «حلمي مهران» وهو يتراجع غير منتبه لتلك القطعة الذهبية الواقعة أرضًا، قبل أن يدخل العقار من المدخل



يشعر ثلاثتهم بهزة خفيفة بالمبنى، ليتوتر «هشام» ويقول ل»ماجي:

- خليكي أنت في العربية يا «ماجي».

- لأ، أنا مش هاسيبكوا.

- اسمعي الكلام يا «ماجي» إحنا ممكن نحتاجك.

أردف «حلمي مهران» لتستجيب «ماجي» على مضض، بينما يتبع «هشام» صديقه «حلمي مهران» قائلًا:

- أنا في ضهرك يا صاحبي ماتخافش.

ابتسم «حلمي مهران» وتابع ليصل إلى شقة «سما» ليطرق الباب مرارًا دون فائدة، مع تزايد هزة العقار، ليقول «هشام» يائسًا:

- اوعى يا «حلمي» هاكسر الباب.

كسر «هشام» الباب، ليدخل كلاهما إلى شقة «أكرم» ليهرع «حلمي مهران» إلى الداخل، ليجدا «أكرم» مقيدًا على سريره غائبًا عن الوعي، ليحرراه ويخرجا من هذا البيت الذي قارب على الانهيار بصعوبة، حتى خرجا إلى سلم العقار الذي بدأ يتهاوى فعلًا قبل أن يسمع «حلمي مهران» نباح هذا الكلب المقيد بمنضدة السفرة، يتألم، ليتوقف «حلمي مهران» بينما يصرخ «هشام»:

- مفيش وقت يا «حلمي».



- اسبقني يا «هشام».

- أنت مجنون!!!

- أكيد مجنون.

من الخارج ظهر «هشام» للجميع كالبطل يحمل «أكرم» وهو يهرع به هروبًا من سقوط العقار، ليسرع إليه مساعده الذي حضر مع سيارات الداخلية، ليساعده على حمل «أكرم» قبل أن يسقط «هشام» عند مدخل سور العقار الخارجي، لتهرع إليه «ماجي» تسانده، بينما أوشك العقارأن يتهاوى من أمامهم لتتساءل في قلق:

- «حلمي» فين؟!!

نظر إليها نظرة انكسار، لتقف متجهة إلى العقار، ليمنعها «هشام» مستعيدًا عافيته للحظة ليصرخ فيها وجميع رجاله:

- محدش يقرب البيت بيقع.

يقولها وهو يرمق «ماجي» التي وقفت تشاهد بعينيها لحظة تهاوى البيت، ليهرب الجميع، بينما هي تلتفت إلى «هشام» معاتبة وهي تكرر:

- سبت صاحبك يا «هشام».

ظل «هشام» متجهمًا يهرب من نظراتها قبل أن يبتسم ضاحكًا، لتندهش «ماجي» ملتفة إلى العقار الذي تهاوى ليصبح كتلة رماد، خرج منها «حلمي مهران» للتو من وسط الغبار حاملًا هذا الكلب مكسور الذراع.



***

من مكتب اللواء «ضياء» جلس «حلمي مهران» بجانب «هشام» من أمامه ليقول الرجل في تعجب، وبما لا يدع مجالًا للشك:

- دي قضية تهريب أثار واضحة، بس للأسف أخواتنا في الأثار لسه مش قادرين يتحققوا من اللي أتسرق بالضبط.

- طيب والبني أدمين يا سيادة اللواء.

تساءل «هشام» ليجيب «ضياء»:

- للأسف محدش نجي وفي جثث كتير كانت في العقار.

- بس دول كلهم اتقتلوا قبل ما العقار يقع يا فندم.

قالها «حلمي مهران» بثقة ليعقب الرجل:

- والله ده اللي هايبينه تقرير الطب الشرعي، والله لولا اللي حصل، مكنش حد هايهتم يخلي الطب الشرعي في مسألة زي دي، لكن بعد الشبهة الجنائية كل حاجة اتغيرت.

- ده عشمي في حضرتك يا فندم.

أردف «هشام» ليعلق «ضياء»:

- القانون مفيهوش عشم يا «هشام»، دي أرواح ناس، وحقوقهم مسؤوليتنا.



- طيب و«سما» يا سيادة اللواء.

تساءل «حلمي مهران»:

- والله أنا معنديش حاجة ملموسة أقدر أقدم بيها حاجة ضدها.

- وشهادة جوزها «أكرم».

- فاقد لأهلية الشهادة.

علّق «حلمي مهران» الذي ذاق من نفس الكأس مرة؛ ليؤكد «ضياء» كلامه:

- زي ما «حلمي» فاكر أهو، شهادته مجروحة نظرًا لظروف العقلية.

- يعني هانسيبها تهرب؟

- هي للأسف سافرت فعلًا قبل ما العقار يقع.

قالها «ضياء» ليغضب «هشام» متسائلًا:

- سافرت فين؟!

***

من أمام سيارة فارهة بمطار «فارنكفورت» اقتربت «سما» بخطى ثابتة إليها، ليفتح السائق لها الباب الخلفي لتدخل (هي) في تعالٍ، لتجد «جون» من الداخل يبتسم إليها قائلًا :



- كان يجب علي الوثوق بك منذ البداية.

Its never too late. -

يبتسم «جون» قبل أن يُشير للسائق لتتحرك السيارة.

***

صف «هشام» سيارته من عند المصحة، ومن جانبه «ماجي» بينما في الخلف «حلمي مهران» بجانب كلبه الجديد، لتسأل «ماجي»:

- مش عايزنا معاك؟

- لأ ونسوا أنتوا الكلب.

- ماشي يا عم، اللي جابلك يخليلك.

ساخرًا قالها «هشام» قبل أن يترجل «حلمي مهران» وهو ينظر إلى المصحة، ليدخل قاصدًا «أكرم» الذي أعلمه الممرضون بالزيارة بالفعل، ليسرع من بين الممرضين وصولًا إلى صالة الزيارة؛ حيث كان «حلمي مهران» ينتظره ليقترب «أكرم» محتضنًا إياه في سعادة قائلًا:

- كنت متأكد أن ربنا بعتك ليا لسبب.

- وأنا كنت عند وعدي.

جلسا سويًا ليقول «أكرم»:

- محدش مصدقني يا «حلمي» فاكرني مجنون، لازم تقولهم الحقيقة.



- حقيقة إيه؟

- اللي شوفناه يا «حلمي»، قولهم إللي شوفناه، أكيد هايصدقوك.

- إحنا مشاوفناش حاجة يا «أكرم».

ببرود يقولها «حلمي مهران» ليقف «أكرم» في عصبية:

- هو أنت كمان عايز تجنني.

- بالعكس أنا عايز أعقلك.

يبتسم «أكرم» الذي تفهم الحقيقة للتو، فليست كل الحقائق للنشر:

- آه أنا فهمتك، محدش هايصدقنا صح.

أومأ «حلمي مهران» برأسه بالإيجاب، ليتابع «أكرم» في عقلانية:

- يعني دي الطريقة الوحيدة اللي أخرج بيها من هنا.

- هي دي الطريقة الوحيدة اللي تقدر تعيش بيها وسطهم.

أوضح «حلمي مهران»؛ ليبتسم «أكرم» نخورًا:

- بس إحنا هانفضل مختلفين يا «حلمي».

- أكيد.

- وأكيد هايكون لينا في يوم تاني لقاء.



- أكيد.

قالها «حلمي مهران» قبل أن يتحرك ناحية الباب ليغادر، بينما يظل «أكرم» شاردًا مبتسمًا، فلم يكن هذا لقاءهم الأخير على أي حال!

وصل «حلمي مهران» إلى سيارة «هشام» ليطلب أن يقله إلى مكان آخر، ليندهش «هشام» متسائلًا:

- مش عارف أنت ليه عايز تزور خالي أنت تعرفه منين أصلًا!

- يا «هشام» ما تعمله اللي هو عايزه.

علّقت «ماجي» متدخلة بينهما كالعادة، ليبتسم «حلمي مهران» في الخلف من جانب كلبه، حتى وصلوا إلى عقار الخال «فتحي» بالفعل، ليترجل الجميع صاعدين إلى أعلى؛ حيث كان الباب مفتوحًا ليندهش «هشام» قبل أن يسمع صوت خاله.

- تعالى يا «هشام» وهات صحابك وأقفل الباب وراك.

دخل «هشام» ومن بعده «ماجي» و«حلمي مهران» وكلبه، بينما كان «فتحي» جالسًا في البلكون، حالما تذكر «حلمي مهران» للتوّ موقفًا سابقًا مرّ فيه نفس هذا الحوار الدائر بينهم حالًا.

- أنت عرفتنا إزاي يا خال؟



- هاكون عرفت إزاي يعني، مش واقف شايفكوا في البلكونة،

- آه صحيح.

- طب أنا معايا..

- «حلمي مهران» عارف، خليه يتفضل.

قاطعه الخال «فتحي» ليندهش «هشام» معلقًا بما تذكر «حلمي مهران»:

- لأ ماتأخذنيش يا خال كده أنت واقف في الـcnn مش في البلكونة.

قالها بينما سارع الكلب إلى «فتحي» الجالس بالبلكون، ليلاعبه «فتحي» مرحبًا، بينما تابع «هشام»:

- طيب أنا هاخد «ماجي» نعملكوا الشاي، عشان نسيبكوا على راحتكوا.

تحرّك «هشام» مع «ماجي» إلى الداخل بينما جلس «حلمي مهران» أمام «فتحي» متسائلًا:

- إحنا اتقابلنا قبل كده صح؟

- يا «حلمي» يابني ربنا رب قلوب.

- يا فتحي أنا مش مجنون؟

اقترب «فتحي» من «حلمي مهران» وقال هامسًا:



- الحاجة الوحيدة اللي أنا متأكد منها، أنك أعقل واحد فينا يا «حلمي».

- أنا.

- أيوة أنت يا «حلمي» زي ما قلتلك قبل كدة، ربنا اداك هبة، أحسن استغلالها.

يضحك «حلمي مهران» وهو يكرر:

- هو أنا مش فاهمك بس حاسس بكلامك، إللي واضح أنك قولتهولي قبل كدة.

يبتسم «فتحي» قائلًا:

- عشان بتشوف يا «حلمي»، أنت عارف البني آدم بيستخدم نسبة بسيطة منه من إمكانيات عقله، تخيل لو ربنا أراد يفتح لحد فينا باب زيادة في مخه، ممكن يعمل إيه!

يتفهّم «حلمي مهران» كلمات الرجل الذي سمعها بالطبع من قبل، ليقول بثقةٍ هو الآخر:

- واضح أننا فعلًا اتقابلنا قبل كده.

يغير «فتحي» الموضوع متجهًا إلى الكلب:

- شكله غريب أوي الكلب ده، هو نوعه إيه؟!!

يبتسم «حلمي مهران» وهو يجيب بنوع هذا الكلب المصري النادر الذي ميّزه لحظة رؤيته ليقول:



- «ابن آوى».

***

إلى اللقاء مع القضية الرابعة

سلسلة



أنهى الفرعون مراسم دفن زوجته في تلك السرية خوفًا على حبيبته من المتآمرين، واضعًا في قبرها كل ما يحميها، مستعينًا بكل كتب كُهانه، لتظل البوابات مغلقة، فلن يحسن أنسي العبور من حواجزها. لذا دفن أكفأ كتائب من جنوده ليحرسوا التاريخ من العبث، ليظل هؤلاء الجنود ساكنين حتى تلك اللحظة التي قد يشعرون فيها بالخطر، ليضيف الكاهن ذو القدم المعدنية إلى الفرعون الحزين قائلًا:

- لقد دفنا بالفعل المزيد، ولكن تذكر أن المزيد سيفسد لك المزيد، فتلك الكتيبة قد تحقق الجحيم على الأرض.

ابتسم الفرعون مهدئًا من روعة كاهنه ذي القدم المعدنية



قائلًا:

- لا تخف أيها الكاهن المخلص، فسنظل نحرس العالم سويًا إلى أمد التاريخ، وسيظل جنودي أوفياء لحضاراتهم ولو بعد آلاف السنين.

صدق الفرعون في حدسه، فلقد فتح الجنود أعينهم للتو من أسفل التراب، واحد تلو الآخر، لتصطف الكتيبة عائدة من تلك الغيبوبة التي دامت لآلاف السنين، ليصطفوا منتظرين الأوامر لينتقموا ممن عبث بالحواجز الزمنية التي حرسوها منذ أمد التاريخ.

أنهى الدكتور «صلاح» روايته المفضلة للتو مبتسمًا وتوجه بقدمه المعدنية إلى تلك البوابة الموضوعة في مكتبه بقبو تلك المستشفى المبنية على ضفاف النيل، على تلك البقعة الساحرة، التي أخفت الكثير ليفتحها للتو متذكرًا أن المزيد سيفسد المزيد، وما خفي كان دائمًا أعظم، فلكل أجل كتاب، وكل وعد ميعاد!!!!

***

هاشرحلك بس المهم تفهمني.



اطلب العدد الرابع

من سلسلة



«كاموفلاج»

